20 me année No 1012

Le Caire 24 — 11 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الإسلام فى موكب الإصلاح

دولة الألقـــاب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت الألقاب الملغاة دولة داخل مصر ، لها سلطانها وصولجانها ، ولها جلالها ونفوذها ، ولها كلمتها المسموعة ، وإرادتها التى لا ترد ، ولكنها كانت دولة هزيلة لم يقم العقلاء لها وزنا ، ولم يلق الحكماء لها بالا

وكان الملك العربيد — الذى ألغى لقبه من الوجود قبل أن تلغى دولة الألقاب — يجعل منها دمية يلهو بها ، ويشغل بها الطبقة المترفة من هواة الألقاب الجوفاء ، وغواة المظاهر الكاذبة ، وأشياع الفوضى والعربدة ، ليتخذ الجميع منها ستارا يحجب مخازيهم ، وحصانة تدفع عنهم سيف العدالة وسلطان القانون ، ومطية للاستغلال الممقوت على حساب الشعب المكدود . وكان لهذه الدولة الهزيلة سماسرة يعرضونها فى الأسواق ، ويساومون عليها طلاب الغرور وعشاقه من أثرياء الحرب المفتونين ، وأرباب العصبيات الفاجرة ، وغيرهم ممن يجيدون استغلال الألقاب ، وتكييف سلطانها ونفوذها

لقد لبثت دولة الألقاب فى مصر عمرا طويلا ، دعمت خلاله صرح الفروق بين شعب واحد ، تقله أرض واحدة ، وتظله سماء واحدة . وثبتت دعائم الطبقات فى وطن واحد ، لا ينتسب إليه زائف ، ولا ينتمى إليه دخيل ؛ وبذرت بذور الفوضى بين أرجاء الكنانة حتى أثمرت الأحقاد فى الأفئدة ، والعداوة فى النفوس ، والبغضاء فى الصدور ، وبثت جراثيم الهمجية حتى أنتجت الجرائم فى شتى صورها ، والشرور فى مختلف ألوانها

ولقد جاء إلغاء دولة الألقاب فى مصر خطوة إصلاحية لها قدرها . وأعتقد أنها ليست بأقل قدرا من خطوة تحديد الملكية ، فإذا كان تحديد الملكية خطوة مادية فى سبيل توازن الطبقات ، فإن إلغاء الألقاب خطوة أدبية فى سبيل المساواة الأدبية ، التى لا غنى عنها لشعب يبغى حياة أدبية كريمة ، وأعتقد أن تفاوت الطبقات المادى لم يكن إلا ثمرة من ثمرات دولة الألقاب ، ففى ظلها استغل أشياعها موارد البلد وخيراته ، وسخروا الدولة بأسرها لحسابهم ، حتى تكدس الثراء لديهم تكدسا أتخمت منه خزائنهم فمدوا إلى الأرض يبتاعونها بأبخس الأثمان وأبهظ الأسعار ، حتى أوشكت جميعها أن تكون ملكا لعصاباتهم ، فيتحكمون فى أرزاق الشعب وأقواته ، لولا أن الله سلم

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول : إن هذه الخطوة المباركة ، خطوة إصلاحية محضة يرحب بها الإسلام لأنها أصل من أصوله ، وهل يوجد من ينكر على الإسلام أنه لم يقم بناءه إلا على دعامة المساواة المطلقة ؛ وأنت حين تتدبر أول آية نزلت من كتاب الله تجدها لم تهمل قاعدة المساواة ، ففيها وضح أن الناس جميعا

متساوون ، إذ أنهم خلقوا جميعا من مادة واحدة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . . » ونزلت بعد هذه الآية آيات لا حصر لها ، مؤكدة هذه القاعدة ، وذلك حين تشير إلى أن الناس جميعا مخلوقون من نفس واحدة ، أو من ذكر وأنثى وما إلى ذلك : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة.. » « يأيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى »

والإسلام الذى أقام بناءه على قاعدة المساواة ، لا يمكن أن يقر هذه الألقاب ، أو يعترف بها كمقياس لتقدير ذويها ، ودليل على استحقاقهم للتقدير ، لأن للاسلام مقياسا واحدا لإخلاص المخلص ، وإنتاج المنتج ، ومثابرة المثابر ، واجتهاد المجتهد ، وهو: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. »

ولا يمكن أن يقر الإسلام هذه الألقاب ، وهى التى تميز بعضا من الناس على البعض الآخر ، وتملأ أنوف أصحابها تكبرا وغرورا وصلفا ، بل إن الإسلام ، وقاعدته المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، لم يشأ أن يلقب إنسانا — كائنا من كان — بأى لقب يميزه على غيره ، وقد يقول قائل : لقد كانت هناك ألقابا مثل : أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، والأمير ، ونحن نقول له : إن هذه ليست ألقابا بالمعنى الذى نراه ، إذ أنها ألقاب عائدة على مناصب أصحابها لا على أشخاصهم ، كما نسمى رئيس الوزارة ، والوزير ، والمدير ، والمأمور ومن إليهم ، وهذه ليست بالألقاب التى نرمى إليها

إن الله تعالى اختار رسله من خير البشر ، ليقوموا بمهمات شاقة مضنية وهى الرسالات ، ومع هذا فلم يمنحوا لقبا واحدا يميزهم على سائر البشر ، اللهم إلا الأسماء التى تشير إلى مناصبهم كرسل أو أنبياء ، ولقد أفاض القرآن الكريم بذكر أسماء الرسل مجردة من الألقاب ، لتأكيد قاعدة الإسلام التى قام عليها وهى المساواة : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. — محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . — ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . . — قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك . . — وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين — وما تلك بيمينك ياموسى ؟ — ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض .. — يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى .. — يا يحيى خذ الكتاب بقوة ... — إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ... »

والرسول (ص) عنى كل العناية بهذه القاعدة — قاعدة المساواة — فطالما صاح فى آذان صناديد قريش ، منبت العصبية الجامحة والعنجهية الكاذبة ، والغرور المقوت : « كلكم لآدم وآدم من تراب — الناس سواسية كأسنان المشط »

بل لقد كان رسول الله (ص) يكافح الغرور فى النفوس ، فكره أن يسمى الإنسان اسما يهب له الغرور والكبرياء ، حتى لا يهوى من غير أن يشعر ، قال أبو هريرة فى حديث رواه البخارى : إن زينب [1] كان اسمها برة [2] فقيل تزكى نفسها ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينب » وقد روى البخارى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخنع [3] الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك »

وبعد — فلقد جاء إلغاء الألقاب خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الاجتماعى الذى له خطره وله قدره ، لحطمت الفوارق ، ومحت دولة الطبقات ، وأذكت فى نفوس الشعب نخوة الاعتزاز بقدره ، وبقى أن تتم الخطوة بالإتيان على فلول دولة الألقاب ، من الإمارة والنبالة والسمو ، فهى أولى بالإلغاء من الباشوية والبكوية وما إليهما ، وأجدر بأن تمحى محوا لا أثر بعده ، فقد كانت أسس الفساد ، وأصل الشقاء ، فى بلد أحسن إليها فقابلت إحسانه بالإساءة ، وفضله بالنكران !

محمد عبد الله السمان

(١) زينب بنت جحش أم المؤمنين

(٢) برة بفتح الباء من البر بكسرها وهو الوفاء

(٣) أخنع : أذل

٤ – على هامش الدفاع
عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

جوهر السلوك الاقتصادي في أمريكا

عندما ألمت بالعالم أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد، وعانى العالم من شرها ماعانى، كانت نفسية الشعب الأمريكي ودوافعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير مهيئة لقبول هذه الصدمة العنيفة. وكتب الأدب والاجتماع وإحصاءات الاقتصاد وصحف التاريخ مليئة بأوصاف الهزة العنيفة التي أصابت المجتمع الأمريكي من جراء هذه الأزمة العالمية الخانقة

وهيأت الأقدار للولايات المتحدة الأمريكية – رجلان: رجل بفكره وآخر بنفذ، وانطوى تحت لوائهما المتطوعون من الاقتصاديين ورجال الأعمال والكتاب والمثقفون والجهلة – والمجتمع الأمريكي بأسره. ورغم أن أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد زعزعت كيان الاقتصاد الأمريكي زعزعة عنيفة؛ إلا أنها لم تقوضه، ويولى كثير من المراقبين لتلك الفترة والمعقبين عليها الفضل للمستر فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وللبرفسور جون مينارد كينز الاقتصادي البريطاني الذي استوحى روزفلت من نظرياته الاقتصادية برنامج «العهد الجديد» الذي طبقه روزفلت على الاقتصاد الأمريكي القومي في سنوات ١٩٢٩ – ١٩٤٠ والذي هو اليوم دستور السياسة الاقتصادية للشعب وللحكومة الأمريكية

والمجال هنا لايسمح بالانزلاق إلى بحث النظريات الاقتصادية، ولكن وصفا قصيرا لعقلية «كينز» تلقي ضوءا نافعا على فلسفته الاقتصادية وعلى جوهر السلوك الاقتصادي للحكومة وللاقتصاد القومي في الولايات المتحدة الأمريكية

قال مترجم حديث (١) لهذا الاقتصادي الشهير «إن كينز لا يرى الأمور في حالها الراهنة، وكان همه أن يثبت الفكرة التي يحملها لتخدم هذه الحالة الراهنة ولا يجد ضرا في أن ينفي ما أثبته في حالة سابقة أو أن ينشط غدا لينفي ما أثبته اليوم. وكان يستجمع الجهد والنشاط والمنطق والدهاء والحصافة لتثبت فكرته عن الحالة الراهنة، وأن يعتبر الماضي والمستقبل تواقه لا قيمة لها، ومن ثم فإن أفكاره عن الحقائق والأوضاع كانت وليدة الساعة وعلى ذلك فإنها – أي الأفكار – في تطور مستمر لا يتقيد بالأمس ولا يعبأ بالمستقبل البعيد

ويخيل إلى هذا الوصف لشخصية البرفسور كينز البريطاني وصف واقعي مطابق للعقلية الأمريكية في نشاطها الاقتصادي والسياسي كذلك. فلا غرابة أن تتصل أسباب التلمذة العقلية والتعاون العملي بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت وبين هذا العالم «الاقتصادي البريطاني»

شغل كينز في أعقاب الحرب العالمية الأولى بمعالجة المشاكل الاقتصادية الناتجة عن هزيمة ألمانيا القيصرية، وطال تفكيره وتدريسه لفنون الاقتصاد النظري والتطبيقي، وخرج بنتيجة مستحدثة فحواها أن شر المساوئ الاقتصادية هو في خطأ النظام النقي المعمول به في العالم المتمدن؛ أو على الأقل في الدول التجارية والصناعية الكبرى صاحبة القول الفصل في تسيار الاقتصاد العالمي

كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة وبريطانيا موطن كينز تعاني أزمة بطالة وضائقة اقتصادية لعينة. ووجد كينز أن تقيد النقد المتبادل، أي الجنيه الإسترليني في بريطانيا وأنواع العملة الأخرى في بقية أقطار العالم – تقيد النقد بأسعار الذهب شيء يخنق التجارة الدولية ويزيد من ضائقة العالم الاقتصادي

ولم يقل كينز بالقضاء على معدن الذهب كأساس للنقد الرصين، بل إنه دعا إلى تحرير النقد من استعباد معدن الذهب وجعل الذهب ملكا دستوريا للعملة الصعبة – كملك بريطانيا سلطته صورية أكثر منها فعلية

وقال «كينز» إن الذهب معدن واحد من المعادن الثمينة وصنف واحد من أصناف الإنتاج الثمين؛ فهنالك مواد أثمن منه في

(١) – حياة جون مينارد كينز. نيويورك سنة ١٩٥١

خدمة الناس والتجارة الدولية ، وإن من الجنون أن نربط أسعار كل شئ بسعر معدن الذهب — وهو معدن إنتاجه محدود والحصول عليه صعب شاق ، وإن من غير الإنصاف أن نقيد النشاط الاقتصادى لشعب ماله إمكانيات واسعة فى كثير من المواد الصالحة والإنتاج النافع لمجرد أن هذا الشعب لا يملك حصة وافية من معدن الذهب ، فهذا التقيد مسؤول عن انتشار البطالة وانقطاع رزق الناس وتفشى الفوضى الاقتصادية بين الشعوب التى لا يتوفر لها معدن الذهب ؛ بينما يتوفر لها إنتاج اقتصادى قيمته الفعلية تعادل قيمة الذهب إن لم تفقه

وبمثل هذا المنطق نشر « كينز » هجومه على معدن الذهب كأساس للنقد الثابت الرصين ، متهما إياه بأنه «من مخلفات العهود الإقطاعية المتوحشة » ودهش الناس لآراء هذا العالم الشهير ! وكانوا بين شاك فى اتزانه العقلى وبين منتظر لميلاد فلسفة عملية جديدة للسياسة النقدية

ثم سرعان ما نشر كينز فى سنة ١٩٣٠ تفاصيل مشروعه لاستبدال معدن الذهب بشئ آخر يصون النقد ويثبته على أساس محترم مضمون ، وشرح هذه الفكرة الجديدة فى « بحث عن المال [٢] » فى أهم الكتب فى علم الاقتصاد الحديث

وفى نهاية استعراض دقيق ممتع عن النقد والشؤون المالية — والحديث عن المال ممتع فى جميع المناسبات — اقترح «كينز» إنشاء سلطة نقدية دولية تتحكم فى تقدير أسعار الذهب بحيث لا يصبح هذا المعدن الأصفر متحكما فى رقاب النقد المحلى لكل دولة ولكل شعب ، واقترح صاحبنا أن تقوم هذه السلطة الدولية التى تضم جميع الدول الراغبة فى الانضمام بتنسيق أسعار العملة لكل دولة ، وتحديد أسعار المواد الأولية وما إلى ذلك من أوجه الشؤون المالية التى يهتم بها أهل الاختصاص

وأشار كينز كذلك أن يكون من أبرز « أهداف سلطة النقد الدولية » بعد تنسيق أسعار النقد فى كل دولة تشجيع استثمار الأموال الحكومية والخاصة فى داخل البلد وفى البلدان الخارجية ضمن ترتيبات وإجراءات معينة تحددها سلطة النقد الدولية هذه بالتشاور مع الدول والهيئات المعنية بالأمر

(٢) ج .م. كينز « المعاهدات النقدية » سنة ١٩٣٠

وأخذت بريطانيا بمشورة كينز فتخلت فى سنة ١٩٣١ عن اعتبار القيمة التقليدية لمعدن الذهب أساسا للجنيه الاسترليني

ثم أغرم رئيس الجمهورية الأمريكية فرانكلين روزفلت فى ذلك الحين بآراء كينز واقتبس منها جزءا كبيرا وطبعه على سياسة أمريكا المالية فى داخل الولايات وفى خارجها

وفى كلتا الحالتين — فى بريطانيا وفى أمريكا — كانت مشورة كينز وآراؤه عاملا قويا فى الإفراج عن ضائقات البلدين فى الشؤون المالية والاقتصادية إجمالا

وجدير بنا أن نستذكر بأن عقلية « كينز » كما وصفها كاتب سيرته وسجلناها فى مستهل هذا الفصل — هذه العقلية كان همها معالجة حالة راهنة غير مقيدة بأحداث الأمس ولا مترقبة خفايا الغد

وهنا سر إغرام الأمريكان بنظريات « كينز » وعودتهم إليها بين آونة وأخرى كلما استعصى عليهم إشكال عاجل بينما تمد البريطانيون — أهل كينز ومواطنوه — تجاهل جزء كبير من مشورته ونظرياته . فالعقلية البريطانية تحتسب الأمور ولا ترى فى الحالة الراهنة كل شئ ! بينما يميل الأمريكان إلى معالجة مشاكل الساعة بالمسكنات وحبات الإسبرين والأقراص الكيماوية المنومة

وتطورت فكرة « كينز » عن النقد فأصبحت برنامجا تطبيقيا عمليا . فقد شغل هذا العالم فى سنوات الحرب باستئناء المشاكل الاقتصادية والنقدية العويصة التى تأتى عادة فى أعقاب الحروب ، وخرج من تحليله لمستقبل الاقتصاد العالمى ببرنامج « لاتحاد دولى للقضية النقدية » على أساس عالمى . ونشر هذا البرنامج فى عام ١٩٤٣ عندما كانت رحى الحرب لا زالت دائرة . وهدف هذا البرنامج تنسيق المعاملات النقدية على أساس عزم الدول جميعها على ضمانة هذا التنسيق ضمانة رسمية ، وأن تقوم هذه الدول فى نفس الوقت على توسيع تبادلها ونشاطها الاقتصادى والتجارى على أفسح مجال ممكن . فهذه الضمانة النقدية وهذا التوسيع الاقتصادى سيجعل نقد الدولة مستندا إلى نشاطها التجارى والاقتصادى لا إلى سعر الذهب فحسب

واقترح « كينز » فى برنامجه عن « الاتحاد الدولى للتصفية

النقدية » أن يقوم الاتحاد بجمع أكبر عدد ممكن من الضمانات النقدية للدول الأعضاء، وأن يوضع هذا المبلغ المجموع تحت تصرف الدول الأعضاء تقترض منه إذا شاءت بقدر ما يراه الاتحاد ضروريا لها وبنسبة متمشية مع حصة الدولة فى ميزانيـة الاتحاد ، على أن يقوم الاتحاد باتباع سياسة سمحة تعين الدول فى الحصول على النقـد العزيز حتى لو كان الميزان التجارى لهذه الدولة تعترضه بعض النكبات

واقترح على الاتحاد كذلك أن يشجع الاستدانة والإقراض بين الدول الأعضاء على أساس المسؤولية الحكومية المتبادلة . أما تحديد أسعـار النقد لأى دولة فأمر لا لزوم له فى برنامج هـذا الاتحاد ، ويترك أمر هذا التحديد للتطورات ولمدى النشاط الاقتصادى فى تلك الدولة على أن يكون ذلك خاضعا لرقابة دولية نزيهة

ووافقت بريطانيا فورا على هذا البرنامج . ولـكن الولايات المتحدة الأمريكيـة تقاعست أول الأمر عن قبوله بحـذافيره ، وادعى الامريكان أن هذا البرنامج يفرض على أمريكا دفع أكبر حصة من ميزانية الاتحاد ، فالحصص فى الاتحاد تتناسب مع سعة النشاط الاقتصادى فى الدول المشتركة فيـه . ولما كانت أمريكا أعظم بلدان العالم نشاطا فى المجال الاقتصادى فإن حصتها فى الدفع لميزانية الاتحاد ستكون أكبر حصة . ورأى الأمريكان فضلا عن ذلك أن اشتراك جميع الدول فى هـذا الاتحاد ودفعهم نقدا محليا (دعائمه غير ثابتة فى كثير من الدول) ثم تخويلهم سحب القروض من الاتحاد بالعملة التى يشاؤونها (ومعظمهم راغب فى اقتراض الدولارات الأمريكية) — هذا التخويل يشجع الدول الهزيلة الكسولة فى النشاط الاقتصادى على الاقتراض فى غـير وعى وحساب ، ويـكون ذلك الاقتراض على حساب الدول الصناعية الفنية الـكبرى وفى طليعتها أمريكا

ولم يرفض الأمريكان فـكرة «الاتحاد الدولى للتصفية النقدية» وإنما اقترحوا تعديلات جوهرية عليها . وفى مؤتمر « بريتون وودز » الذى عقد فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقـاب الحرب العالمية الأخيرة مباشرة أقنع الأمريكان المستر « كينز » (الذى كان من أبرز المشرفين على هذا المؤتمر) بتعديلاتهم — أقنعهم كينز ببعض نظرياته التى كانت موضوع جدل ، ونجح الأمريكان فى ذلك المؤتمر بتقييد عملية الاستدانة والإقراض للدول الأعضاء التى تنضم إلى الاتحاد النقدى الدولى . وغضب « كينز » لهذه القيود الشديدة التى وضعها الأمريكان على برنامجهم العالمى ولـكنه رضى بها وكان من نتـائج هـذا الرضى أن استطاعت (بريطانيا التى كان المستر كينز يمثلها فى مؤتمر بريتون وودز) فى الحصول على أول قرض وهبات سخية من الدولارات الأمريكية [٣]

وذهب الأمريكان إلى أبعـد من ذلك ، فلما تبلورت فـكرة الاتحـاد الدولى للتصفية النقـدية فى مؤتمر « بريتون وودز » « وتأسس صندوق النقد الدولى التابع لهيئة الأمم المتحدة » بعد المؤتمر بقليل أصرت الحكومة الأمريكية أن يكون لها إدارة هذا الصندوق مع أنه أصبح وكالة فنية خاصة تابعة لهيئة الأمم . وعارض « كينز » فى ذلك وقال بما أن للأمريكان تحفظات شديدة فى هذا البرنامج فإن إدارتهم لصندوق النقد الدولى (الذى وكل بتنفيذ البرنامج) ستؤثر تأثيرا شديدا فى مستقبل الفائدة المطلوبة من هذا الصندوق الدولى . ولـكن الحكومة الأمريكية أصرت على أنها إذا كانت ستدفع أكبر حصة فى هذا الصندوق فإن من حقها أن تفرض النغم الذى يطيب لها عزفه [٤] . وانزعج كينز من هذا ووجد فى إصرار الأمريكان على إدارة هذا الصندوق الهام رغبة الحكومة الأمريكية فى أن تفرض رقابة شديدة على الأوضاع النقدية فى جميع الدول الأعضاء

وسلم « كينز » للأمريكان واكتفى بتحـذير المسؤولين عن وخيم العواقب ، ثم عكف على التأمل فى وضعية العالم الاقتصادية فى عالم ما بعد الحرب ونشر ذلك فى سفر اقتصادى نفيس هى آراؤه العلمية [٥]

وخرج كينز من تأمله العميق وخبرته العملية والتطبيقية الواسعة بنتائج اقتصادية عظيمة الخطورة فى التعرف عليها اليوم لبعض دقائق السلوك الاقتصادى (والسياسى) للأمريكان حكومة وشعبا

---

(٣) باعتراف المستر هربرت فيس المستشار الاقتصادى لوزارة الخارجية الأمريكيـة فى مقالة له عن هذا الموضوع فى مجـلة « الشـؤون الخارجيـة الأمريكية » عدد يوليو ١٩٥٢

(٤) نفس المرجع السابق

(٥) « النظرة العامة للعمل والفائدة والمال »

وكان هم « كينز » أن يضع العلاج للمساوئ التي تكتنف الاقتصاد الحر الذي تعيش عليه الدول الاقتصادية الكبرى في أمريكا الشمالية وبريطانيا ، وأن يثبت بأن تنبؤات كارل ماركس الشيوعي عن إفلاس النظم الرأسمالية هي تنبؤات خاطئة لو تيسر لهذا الاقتصاد الحر أن يتبع أساليب مستحدثة في نشاطه الاقتصادي وسياسته المالية والتجارية

وقد وجد كينز أن عهد الاستعمار المباشر قد انتهى وأن السياسة الاقتصادية الصائبة تقتضي جعل حرية التبادل النقدي أساسا للرخاء الاقتصادي بدل أن تكون السيطرة الاستعمارية على الأسواق التجارية هي عماد الرخاء في البلدان الصناعية الكبرى كأمريكا وبريطانيا ، فحرية التبادل النقدي كفيلة بأن تضمن استقرارا للأوضاع الاقتصادية وإصلاحا للمساوئ السياسية والاجتماعية التي ترافقها

وكان الفكر الاقتصادي والتقليدي المعمول به في بريطانيا وأمريكا يؤكد بأن النظام الرأسمالي كفيل بأن يصون نفسه إذا استطاع أن يحقق العمالة الكاملة . فإذا توفر العمل لجميع الأيدي العاملة تولدت حلقة اقتصادية سليمة . فالعمل المستمر يحقق دخلا مستمرا للناس ويزيد الإنتاج وبتوفر الدخل يزداد استهلاك المنتجات ، أما استقرار أجور الأيدي العاملة وأسعار المنتجات المستهلكة فسيتوقف على طبيعة المنافسة الحرة في الاقتصاد الحر وعلى مدى إدراك الناس لفضائل الادخار والاستثمار والإقبال على رفع مستوى معيشتهم وترك النقد المتداول جاريا في مجرى سليم

وتعمق كينز في هذه النظرية الاقتصادية القويمة على ضوء الأضرار الواسعة التي جلبتها الحرب على اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى وعلى مصانعها وموارد إنتاجها ، وعلى ضوء التقلبات السياسية والاجتماعية التي ألمت بجزء واسع من آسيا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا (إلى حد ما) وهو جزء كان فيما مضى أجزاء من إمبراطوريات استعمارية واسعة . وخرج كينز بعد هذا التعمق بنتيجة مخالفة لهذه النظرية الاقتصادية القديمة فوجد :

(١) أن العمالة الكاملة ليست أساس كل شيء ، ففي استطاعة الدول أن تعيش على اقتصاد سليم إذا توفر فيها الاتزان — عمالة معتدلة لا هي بالكاملة ولا هي بطالة متفشية

(٢) يجب على الدول الصناعية الكبرى التي تعيش على الاقتصاد الحر أن تدرك من أن النكسات الاقتصادية الخطيرة التي تصيبها بين آن وآخر — ليست عوارض تأتي وتزول — بل إن من الممكن لهذه النكسات أن تتطور فتولد إفلاسا تاما لهذه الدول

ويهمنا هنا أن نتعرف على موقف الأمريكان من نظرية « كينز » الجديدة ؛ فقد استمر « كينز » يدخل تعديلات وإصلاحات على نظريته مما لا مجال لذكره هنا ، وكان لا يجبن عن أن يناقض نفسه في رأي كان قد قرره سابقا ثم وجد أنه يخالف لحقائق اكتشفها الآن . فهذه المرونة وجدت قبولا حسنا لدى العقلية الأمريكية التي وجدنا ها طلقة لا تتقيد بحدث مضى ولا تترقب خفايا الغد البعيد

فقد وجد الأمريكان أن كينز يعطي أهمية فائقة للاستهلاك الفعال في النشاط الاقتصادي . فقال إن علة القلق الاقتصادي الذي يعتري النظم الرأسمالية هو في الاستعمال الخاطئ للدخل . والدخل على أنواع : دخل ينفق ودخل يدخر ودخل يستثمر في المشاريع المربحة . وأمر كينز ضرورة الاهتمام الرئيسي بالنوعين الأخيرين من أنواع الدخل وهما الدخل المدخر والدخل المستثمر في المشاريع المربحة . وقال إن ثروة الشعوب لا تقدر بقيمة ما تملكه من مال مدخر بل بكمية الاستهلاك الفعال المستمر الناتج عن سياسة الاستثمار النافع الواسع النطاق

وحذر كينز الدول الرأسمالية الكبرى بأنها يجب أن تتبع النصائح التالية إذا شاءت لنفسها البقاء عزيزة سالمة

(١) يجب أن تسرع في تنفيذ الأساليب المستحدثة على ضوء التطورات الاقتصادية والسياسية الجديدة وإلا فإن على النظام الرأسمالي السلام

(٢) إذا ظل الدخل قاصرا عن استهلاك المنتجات التي تنتجها الصناعة والزراعة وسائر ألوان النشاط الاقتصادي فإن عجلة الحياة الاقتصادية ستتوقف ؛ فالدول الصناعية الكبرى بما لها من تفوق واستعداد فني حديث ستظل تنتج إنتاجا هائلا قد لا يقوى استهلاكه الشعبي في تلك الدول بسبب التفاوت بين مبلغ الدخل الفردي وبين كمية الإنتاج الهائلة وبسبب اكتفاء الناس بحاجات

٤ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هل بقى الميسر فى الإسلام

كان لأهل الجاهلية كثير من العادات والنظم الشنيعة التى جاء الإسلام من بعد ونص على تحريمها ، ونهى عن مزاولتها ومن ذلك وأد البنات وما كان فيه من شناعة قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . ومنها نكاح المقت ، وهو نكاح زوجة الأب . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومن ذلك شن الحروب فيما بينهم للسلب والنهب ، ومنها الميسر ، والاستقسام بالأزلام ، وشرب الخمر ، وكثير غيرها من عادات الجاهلية

وقد قضى الإسلام على معظم هذه المفاسد قضاء مبرما ، فلم نسمع بأن شيئا منها حدث فى الإسلام إلا ما كان من شرب الخمر ، فإن غلبتها لضعاف النفوس من المسلمين كانت غلبة متصلة الحلقات ، لم يسلم عصر ولم يسلم بلد ممن كان يشرب الخمر ويحد فيها ، ويلقى جزاء الشارب

ولكنا لم نسمع ولم نقرأ أن قوما من المسلمين اجتمعوا لمزاولة الميسر الجاهلى على نحو ما كان يصنع العرب قديما ، فلم تكد تظهر شمس الإسلام على ذلك الباطل حتى أزهقته وقضت عليه قضاء ، ومحت معالمه ، حتى تعذر على بعض الرواة القريبى العهد بالجاهلية أن يعرف حقيقته أو يظهر على كنهه ، وحتى وجدنا إماما كبيرا من أئمة العربية — وهو الأصمعى — يخطئ فى ذلك خطأ ظاهرا ، كما أسلفنا القول فى المقال الأول

وحرم الإسلام القمار — وهو ضروب شبيهة بالميسر الجاهلى كما قدمنا — ولكن القمار ظل إلى عصرنا هذا يقترفه الآثمون فى صور شتى ، ولعل أفشى صوره وأظهرها اليوم هو (لعب

معينة تجعل لاستهلاك الفرد حدا لا مزيد عليه . ولكى تتفادى الدول الصناعية الكبرى وقوف عجلة الحياة الاقتصادية فإن عليها أن تشجع سياسة الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة للفرد وللمؤسسات المالية والصناعية — فهذا الاستثمار سيزيد من الدخل الفردى والدخل القوى ويشجع بالتالى على زيادة الاستهلاك ويوفر لعجلة الحياة الاقتصادية (الصناعية والزراعية) أن تتابع سيرها فى أمن وسلامة

وللاستثمار أوجه عديدة : منها استثمار محلى نافع وخصوصا فى الدول التى لها إمكانيات واسعة فى الموارد الطبيعية والصناعية كأمريكا مثلا ، واستثمار فى المشاريع المربحة فى البلدان الخارجية (وجدير بالذكر أن الاقتصاد المنظم فى الدول الشيوعية والاشتراكية إلى حدما ؛ يفرض على عجلة الاقتصاد خطوط السير ويحاول أن يقيد الإنتاج الصناعى والزراعى بحيث يتعادل الإنتاج مع مقدرة الناس على الاستهلاك والشراء . وهذا التقييد يكون عادة على حساب حرية النشاط الاقتصادى ويأتى عن طريق مركزية حكومية صارمة تضع للنشاط الاقتصادى برامج لخمس أو لعشر سنوات أو لأكثر من ذلك أو أقل)

ولما كان النظام الاقتصادى الحر فى الولايات المتحدة الأمريكية ينفر من المركزية الحكومية فى التقييد والتوجيه الصارم ؛ لذلك ولما كان شبح أزمة ١٩٢٩ الاقتصاديه يتراءى للأمريكان من بعيد فى عالم مابعد الحرب العالمية الأخيرة ، وجدت نظرية الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة أو الأموال الفائضة — التى جاء بها كينز — مكانا عزيزا فى تفكير الأمريكان حكومة وشعبا

وعلى ضوء هذه الحقائق يجدر بنا أن ننظر إلى « مشروع مارشال » وما استتبعه من خطوات أمريكية أخرى « كمشروع النقطة الرابعة » « ومشروع الضمان المتبادل » وبقية النواحى فى سياسة أمريكا الخارجية فى مجالها الاقتصادى والدبلوماسى والعسكرى — بما فيها الدفاع عن الشرق الأوسط

وقبل أن نستعرض ذلك دعنا نتعرف على أهمية العنصر الأيديولوجى على المبادئ والعقائد والأسس العاطفية التى تكمن وراء فكرة الدفاع المشترك التى يبشر بها الأمريكان

نيويورك للكلام بقية **عمر حليق**

الورق) الذى صار إنما دوليا يلتقى عليه المصرى والأوربى والآسيوى والأمريكى فى يسر ، وصارت قوانينه عرفاً عاما بين المتقامرين على شتى أجناسهم وبلدانهم

الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام فهو طلب القسم ، أى ما يقسم للانسان ويقدر . والأزلام : جمع زلم ، بضم ففتح ، أو بالتحريك ، وهو القدح ، بكسر القاف ، أو السهم من سهام الاستقسام

والأزلام ذكرت فى كتاب الله مرتين :

أولاهما قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق [١] »

والأخرى قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [٢] »

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأزلام ، هل هى أزلام الميسر وقداحه ، أم هى أزلام أخرى معينة ؟ والراجح المعتمد أن المراد بالأزلام فى الكتاب العزيز ضرب آخر من القداح يستعمل فى أغراض أخرى غير الميسر ، سنبسط القول فيما يلى . ويرجح ذلك :

١ — أنها ذكرت فى الآية الأولى بعد « النصب » فهناك علاقة بين هذه الأزلام وبين الأنصاب

٢ — وفى الآية الثانية ذكر الميسر ، ثم ذكرت الأنصاب ثم الأزلام ؛ ولو كانت الأزلام والاستقسام بها شيئا هو الميسر لما ذكرت فى الآية مرة ثانية ، أو لذكرت بعد الأزلام مباشرة على طريق الترادف أو نحوه

٣ — قال الأزهرى [٣] : « وقد قال المؤرج وجماعة من أهل اللغة إن الأزلام قداح الميسر » . قال : « وهو وهم »

٤ — وقال الفخر الرازى [٤] : « قال المؤرج وكثير من أهل اللغة : الاستقسام هنا هو الميسر المنهى عنه ، والأزلام قداح الميسر . والقول الأول اختيار الجمهور » . يعنى بذلك طلب معرفة الخير والشر بوساطة ضرب القداح

٥ — ومما يؤيد أن المراد بالأزلام فى القرآن غير أزلام الميسر ما روى أبو الدرداء [٥] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » . فالاستقسام فى هذا الحديث مقرون بالتكهن والتطير . وهذا يدل على أنها أزلام الاستخبار والاحتكام لا أزلام الميسر

٦ — وجاء فى اللسان [٦] رواية عن الأزهرى : « ومعنى قوله عز وجل : وأن تستقسموا بالأزلام ؛ أى تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم . ومما يبين ذلك : أن الأزلام التى كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر ما روى عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى ، وهو ابن أخى سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول :

جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون لنا فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما . قال : فبينا أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم فقام على رءوسنا فقال : يا سراقة ، إنى رأيت آنفاً أسودة بالساحل [٧] لا أراها إلا محمدا وأصحابه . قال : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بغاة [٨] . قال : ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت جاريتى أن تخرج لى فرسى وتحبسها من وراء أكمة ، ثم أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخفضت عالية الرمح وخططت برمحى فى الأرض حتى أتيت فرسى فركبتها ورفعتها

(١) الآية ٣ من سورة المائدة
(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة
(٣) اللسان (قسم)
(٤) تفسيره (٣ : ٣٥٧)
(٥) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)
(٦) مادة (قسم) .
(٧) أسودة : جمع سواد الشخص
(٨) يريد بذلك أن يصرفه عما هو بسبيله

تقرب بى [٩] حتى رأيت أسودتهما ، فلما دنوت منهم حيث أسمعهم الصوت عثرت بى فرسى ، فخررت عنها وأوهيت بيدى إلى كنانتى فأخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضيرهم أملا ؟ فخرج الذى أكره : أن لا أضيرهم . فعصيت الأزلام وركبت فرسى فرفعتها تقرب بى حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى وخررت عنها . قال : ففعلت ذلك ثلاث مرات إلى أن ساخت يدا فرسى فى الأرض »

قال الأزهرى : « فهذا الحديث يبين لك أن الأزلام قداح الأمر والنهى ، لا قداح الميسر »

الأزلام فى الشعر العربى

١ — وقد نطق الشعر الجاهلى بأزلام الاستقسام ، إذ يقول طرفة [١٠] :

ففعلنا ذلكم زمنا ثم دانى بيننا حكمه
أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواها زلمه
عند أنصاب لها زفر فى صعيد جمة أدمه

دانى ، أى قارب . ويعنى بالحكم النلاق بن شهاب السعدى ، أنفذه النعمان الأكبر ليصلح بين بكر وتغلب فأصلح بينهم محتكما فى ذلك إلى الأزلام . والزفر من العطايا : الكثيرة [١١] . يعنى بها ما يهدى إلى الأنصاب من قرابين . وعنى بالأدم جلود ما ينحر عندها من الإبل ونحوها

٢ — ونطق الشعر الإسلامى بذلك الاستقسام : قال الحطيئة [١٢] يمدح أبا موسى الأشعرى :

لم يزجر الطير أن مرت بسنحها ولا يفيض على قسم بأزلام

يريد أنه لا يتطير من السانح والبارح ، ولكنه يمضى متوكلا على الله عز وجل ، ولا يستقسم بالأزلام كما كانت تفعل الجاهلية

وقال آخر [١٣] :

هم الجيرون والمنبوط جارهم فى الجاهلية إذ يستأمر الزلم

٣ — ونلمح فى الشعر العباسى أيضا وميضا من الإشارة إلى الأزلام أو قداح الاستقسام فيما رواه أبو الفرج [١٤] من القصة التالية ، عن محمد وهيب الشاعر قال :

لما ولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على وأبا سعد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى يلقى بها الملوك فخرجت إلى الجبل ، فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى :

أجارتنا إن التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بإبساس
حريان ألا يقذيا بمذلة كريما وألا يحوجاه إلى الناس
أجارتنا إن (القداح) كواذب وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

فأمر حاجبه بإضافتى . فأقمت بحضرته كلما وصلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرف الصيف ، فقال له : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فأنشدنى الثلاثة الأبيات ، فقد فهمت الشعر كله . فلما أنشدته :

أجارتنا إن (القداح) كواذب
وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

قال صدقت فلم يزل يستعيدنى هذا البيت وأنا أعيده عليه ، ثم قال عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا ، فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

(٩) التقريب : ضرب من العدو والجرى

(١٠) ديوان طرفة ١٨ طبع قازان

(١١) القاموس (زفر)

(١٢) اللسان (زلم) والبيت ساقط من ديوان الحطيئة ولكن شرحه مثبت فيه . وقال السكرى شارحه : «ويروى : «ولا يفاض لقسم بأزلام» والأول أجود »

(١٣) الميسر والقداح ٤٠

(١٤) الأغانى ١٧ : ١٤٢

تاريخنا العربي

دعوة إلى دراسته وإعادة كتابته من جديد

بمناسبة المؤتمر الثقافي للادارة الثقافية في جامعة الدول العربية المنعقد في عمان

للأستاذ كامل السوافيري

نشرت مجلة الرسالة الزاهرة في العدد ٩٩٥ البيان الذى أذاعته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عن سعيها لخلق جيل عربي يعتز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد ، وتحقق الإدارة من أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التي تحقق هذه الأهداف ، ودعوتها إلى تأليف لجنة من الخبراء في التاريخ لوضع قواعد عامة ، يسترشد بها في تأليف كتب التاريخ المدرسية في البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة في هذه المادة في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي

واتجاه الإدارة الثقافية هذا الاتجاه القومي أمر محمود الأثر جليل الخطر ، إن يكن لنا اعتراض عليه فهو تأخره حتى اليوم .

وإننا إذ نتمنى للادارة الثقافية ، وللجنة الخبراء في التاريخ المنبثقة عن الإدارة التوفيق في مهمتها ، نرجو ألا يقتصر الأمر على بحث توحيد المناهج التاريخية في الأقطار العربية ؛ بل يتجاوز ذلك إلى النظرة الفاحصة والدراسة الشاملة الدقيقة للكتب التاريخية المنبثة في المكتبة العربية

ولست أعدو الواقع إذا قلت إن تاريخ العرب لم يجد منهم العناية اللائقة به ، والدراسة المنظمة لأحداثه ووقائعه ، وتنقيته من الرواسب التي علقت به منذ عصر تدوين العلوم . والتبعة في هذا واقعة على كواهل أعلام الفكر وأقطاب البيان في الأمة العربية

ولسنا نريد أن نرجع إلى الوراء لنغوص في أعماق الماضي البعيد ونوضح الخلط الذى وقع فيه المؤرخون حين تحدثوا عن العرب في الجاهلية وما وقعوا فيه عند الحديث عن هذه الفترة من أخطاء ؛ ولكنا نقصر كلمتنا على التاريخ العربي بعد أن بزغ الإسلام على الجزيرة العربية وأرسل نوره الوهاج إلى آفاق المعمورة فبدد ظلامها ، وأضاء جوانبها . مستعرضين المراحل التي مر بها تدوين ذلك العلم وما وجه إلى طرق تدوينه وجمع أخباره من نقد وما أبدى عليه من ملاحظات . لقد مر تدوين التاريخ بعد الإسلام أو على وجه التحديد في أوائل العصر العباسي الأول بمرحلتين : الأولى تدوين الأحداث حسب الترتيب الزمني الذى لها ، وربطها بالسنين وروايتها بطريقة السلسلة ؛ وممن سار على هذه الطريقة المؤرخ المشهور ابن جرير الطبري . حاكاه فيها خلفه العظيم ابن الأثير بعد أن أسقط سلاسل الرواة . ومن قبلهما ابن إسحق والواقدي..الأول في السيرة والثاني في الفتوح . والمرحلة الثانية هي التدوين على غرار الأسر أو الدول والأشخاص كتاريخ الخليفة عمر بن الخطاب أو الدولة الأموية أو الطولونية حيث يترجم المؤرخ للخليفة أو الحاكم ويستعرض ما حدث في عهده من الأحداث ، وقد يتطرق إلى ذكر بعد عن حالة البلاد المجاورة في ذلك العهد . وممن الذين ساروا على هذه الطريقة كل المؤرخين الذين كتبوا عن الأمم والأشخاص والبلدان كابن طيفور صاحب تاريخ بغداد ويوسف ابن الداية والكندي والعتبي وغيرهم .

وفي هاتين المرحلتين لوحظ على تدوين التاريخ أن الأخبار كانت تروى في المرحلة الأولى على علاتها دون بحث أو تمحيص . وفي الثانية يسقط منها ما لا يرضي الأسرة الحاكمة أو الدولة أو الخليفة . ولوحظ أيضا أن التدوين في المرحلتين لم يعد النواحي السياسية والحوادث التاريخية المرتبطة بحروب الخليفة مع غيره أو المتعلقة بشخصه ؛ حتى ليكاد القارئ يظن أن تاريخ الأمة العربية كان جملته حياة ولاة وخلفاء ، ووحدة منازعات ومخاصمات ، لا تاريخ أمة ولا حضارة شعب . ويبدو ذلك جليا في استعراض المؤرخين للأحداث السياسية الجارية في أزمانهم وإبرازهم ما يتصل منها بالقادة والخلفاء ، وإهمالهم النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للشعب . ومما لا ريب فيه أن التاريخ ليس هو الجانب السياسي

المحض للأمة ، ولكنه الوحدة القائمة على تفاعل الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وقد ظل هذا التشويش يسود تدوين التاريخ إلى أن ظهر الفيلسوف الاجتماعي المؤرخ العلامة ابن خلدون في القرن الثامن وألف مقدمته فألقى أضواء متألقة على تدوين التاريخ ، ولم يفته أن يطلع على المراجع التاريخية التي ألفت في العهود السابقة لعهده وما نقله المؤرخون من الأخبار التي لا سند لها من الحقيقة فهاجمهم وأنكر عليهم تخبطهم ورسم لهم الطريقة المثلى وأبرز المطاعن المأخوذة على بعضهم إذ قال : وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز وهو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة والثقات (١)

وكان أهم ما أخذه ابن خلدون على المؤرخين القدامى اعتمادهم في الأخبار على مجرد النقل دون تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران ومبادئ الاجتماع .

إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط (٢) ومع أننا لا نوافق ابن خلدون في كل ما جاء في مقدمته وخصوصاً في تحامله على العرب نرى أن طريقته في تدوين التاريخ كما جاءت في المقدمة هي الطريقة العلمية . ويغلب على ظننا أنه كتبها بعد أن انتهى من تأليف كتابه لأنه لم يجر على المنهج الذي رسمه لنفسه فيها .

ولا نريد أن نضرب الأمثال على تخبط المؤرخين القدامى في الحوادث فقد سرد ابن خلدون عدداً منها وناقشها مناقشة علمية ، ولكنا نورد حادثين على سبيل التمثيل لا الحصر يؤيدان ما ذهبنا إليه ؛ هما : فتك المنصور بأبي مسلم الخرساني وتنكيل الرشيد بالبرامكة وفيهما يتضح التخبط في تعدد الأسباب واختلاف الآراء

وهناك ناحية أخرى لها أهميتها البالغة وهي الشعوبية المدمرة التي أطلت برأسها في العصر الأموي ثم استعمل خطرها في العصر العباسي فلم تترك خليفة من الخلفاء العرب أو قائداً من عظام قوادهم إلا حاولت أن تغض من قدره وتحط من شأنه باختلاق الأكاذيب وابتداع الأقاويل التي لا ظل لها من الحقيقة . لذلك أرى أن تمتد رسالة اللجنة المؤلفة لتوحيد مناهج التاريخ إلى النظرة الفاحصة في تاريخ الأمة العربية والعمل على إعادة كتابته من جديد . ولا بأس من أن تمهل اللجنة حتى تفرغ من مهمة توحيد مناهج التاريخ المدرسية

وعلى الإدارة الثقافية وأعلام الفكر في دنيا العروبة أن يوجهوا عنايتهم إلى التراث العربي المجيد المبعثر في شتى المراجع ومختلف المصادر تختلط فيه الحقائق بالأساطير ، ويختلف ، فيه مؤرخو العرب مع مؤرخي الأفرنج ، ويوجه إليه المستشرقون غمزات النقد والتجريح ، فينقوه من الشوائب ويصفوه من الرواسب ويخرجوه إخراجا جديداً في إطار جميل تبرز فيه جوانب العظمة وأمجاد الماضي ومناهل العلم وألوان الحضارة مع توجيه النظر إلى المآثر الغر والأيام الخالدة في تاريخ العرب والإسلام التي تهز المشاعر وتحرك العواطف ، ليقف العربي والمسلم على مجد أمته حين اتسعت رقعتها وترامت أطرافها فضمت معظم أجزاء آسيا وإفريقيا وجزر بحر الروم ثم وثبت على أوربا فأنشأت حضارة في الأندلس استضاءت بنورها دول أوربا وظلت تدرس في جامعات الغرب حتى عصور متأخرة . ويبقى بعد ذلك أن نقرر أننا لا نريد أن يفهم القراء من دعوتنا هذه مفاخرة العرب لغيرهم من الأمم بالماضي أو الاعتزاز بعظام نخرة وقبور دارسة ؛ بل نهدف إلى أن يطلع الشباب العربي والإسلامي على الماضي ليربط العرب والمسلمون بين ماضيهم وحاضرهم فيستلهموا من الماضي العزة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤ طبع بيروت

(٢) ص ٨ نفس المصدر

هل كان النبي يعلم الغيب؟

للأستاذ أحمد محمد جمال

هل كان النبي محمد عليه السلام يعلم « الغيب » كليا، ومطلقا، ودائما ؟

أما أنا : فأقول : لا . وإنما كان يعلم « الغيب » بإيحاء الله له — متى شاء — فى أزمنة، وأمكنة، وقضايا محدودة غير مطلقة . وليس الحجاب مكشوفا له دائما، بحيث يرى « غيب » ملكوت السموات والأرض، ويعلم كل ما حدث أمس، وكل مايحدث بعده .. وإن لم يرها

ولكن الأستاذ ناصر سعد — من العراق — كتب فى مجلة الرسالة الغراء (العدد — ٩٩٨) مقالا يجزم فيه بقوله : « إن النبي — ولاشك — كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب، ويعرف حقائق أسرار الكون . . . ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم، بعد أن أقر علم النفس الحديث قراءة الأفكار وإحضار الأرواح ومحادثتها » الخ .

وذهب الكاتب الفاضل يضرب الأمثال على مازعم فذكر :

(١) إخبار النبي عليه السلام لعمار بن ياسر « إنما تقتلك الفئة الباغية »

(٢) تحديثه بأشقى رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه

(٣) تحديثه عمير بن وهب بما جاء من أجله إلى المدينة، وهو ما تآمر عليه هو وصفوان بن أمية، فى الحجر باليمامة، من اغتياله عليه السلام

(٤) إخباره لعمه العباس يوم أسر فى واقعة بدر، بما خبأه عند أم الفضل بمكة من مال

(٥) ماحدث به سلمان الفارسى أثناء حفر الخندق، عندما لمعت برقات ثلاث تحت معوله — عليه السلام — الذى كان يضرب به صخرة اعترضت الخندق، فقال عن الأولى إنها بشارة فتح اليمن، والثانية فتح الشام والمغرب، والثالثة فتح المشرق . . وقد صحت هذه البشريات، فتمت هذه الفتوح

(٦) حديثه عن العاصفة التى هبت فى طريقه إلى غزوة بنى المصطلق، بأنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا رفاعة بن زيد اليهودى قد هلك فى ذلك اليوم . .

(٧) قصة حاطب بن أبى بلتعة، وعلم النبي بالمرأة التى حملها حاطب رسالة إلى مشركى قريش ينبئهم فيها بتقدم النبي إليهم

(٨) إخباره لوفد أهل جرش — باليمن — بما أصاب قومهم من تقتيل صرد بن عبد الله لهم

إلى غير ذلك من حوادث — ذكرها الكاتب أم لم يذكرها — مما اتخذها أدلة على علم النبي « بالغيب »، وهى — إن كثرت أوقلت — لاتغنى فى تقوية مازعم، ولا تكفى لتصحيح ما ادعاه

وأول ما نريد نقضه من قواعد زعمه ما زين له من الاحتجاج بما أقره علم النفس الحديث من « قراءة الأفكار » و « إحضار الأرواح ومحادثتها »

فليس ما كان يوحى إلى النبي عليه السلام من « غيوب » محدودة معدودة من قبيل قراءة الأفكار، وإحضار الأرواح . وإلا فما الفرق بينه وبين الناس الماديين الذين يحترفون هذين العلمين أو الوهمين — على الصحيح — ؟

إن الحجة يجب أن تكون من جنس المحتج عليه . وعلم النبي ببعض « الغيوب » كان وحياً إلهيا، لا أكثر ولا أقل —

والبطولة ويعلموا أنهم ليسوا أقل شأناً من أعظم الأمم المعاصرة، ومثل هذا الشعور إذا نفذ إلى مسارب النفس ملأها ثقة وطمأنينة، وحفزها للوثوب والنهوض، ولدى الأمة العربية اليوم من الوسائل ما يمكنها من أن تنهض بحاضرها على ضوء ماضيها المجيد

كامل السوافيري

وهذان العلمان أو الوهمان ليسا كذلك بلا مراء . ثم إن علم النبي ببعض « الغيوب » لا يصححه لدينا أو يصوبه ويؤكده لنا شئ من هذه التجارب والمعارف الحديثة ؛ وإنما نؤمن به ، كما نؤمن بالقرآن الذى يذكر لنا أن محمداً عليه السلام أوتى معجزات عديدة، كما أوتى النبيون من قبله معجزات أيضاً . ولا نزيد

وعلمه — عليه السلام — ببعض الغيوب ، من بعض هذه المعجزات

وهذا « القرآن » الذى نؤمن به ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونؤمن بما ذكره عن معجزات الأنبياء جميعا — يذكر فى آيات صريحة فصيحة مكررة مؤكدة : أن النبى عليه السلام كان لا يعلم الغيب كليا ، ومطلقا ، ودائما

— « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » من سورة النمل

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . . » من سورة الأعراف

— « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم . . » من سورة الأحقاف

— « قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ، ولاأعلم الغيب . . » من سورة الأنعام

أجل لو كان النبى عليه السلام يعلم الغيب كله ، لاستكثر من الخير ، ولما مسه سوء أعدائه ومكائدهم ، ولاتخذ من كل أذى حمى ، وحسب لكل هزيمة فى المعارك التى هزم فيها المسلمون حساباً ، ولما أسف على كفر من كفر ، وما حزن على مسارعة من يسارع إلى الكفر ، أوعلى قول من يقولون له لست مرسلا . . أو من يطلبون منه مطالب الإعجاز والإعنات ، لأن من يعلم ما سيحدث له لا يبالى به إذا حدث ، لأن نفسه قد استقرت على تلقيه واستقباله . .

ولكن النبى — كما يذكر القرآن فى عدة مواضع — كان يأسف وكان يحاول أن يبخع نفسه، وكان يضيق صدره، بما يفاجأ به من أحداث

وبعد فما كان همى أن أقرر ما قررت من عدم علم النبى بالغيب مطلقا ، فى ردى على من زعم هذا العلم . فذلك واضح فى القرآن والسنة ، ولكن همى أن أفرق بين علم النبى ببعض الغيوب ، وبين قراءة الأفكار وإحضار الأرواح وغيرهما من تجارب العصر الحديث ، التى لم تصل بعد إلى درجة اليقين ، أو التى لا تعد علما بالغيب — بالمعنى الصحيح — وإنما تعتبر من قبيل التفهم والتفرس واشتداد قوتهما عند بعض الأذكياء من الناس

وهمى كذلك ألا يتخذ بعض المحترفين ما زعمه الكاتب حجة لهم فيما يحترفون من قراءة أفكار ، وإحضار أرواح . .

وشتان بين معجزات الأنبياء ، وترهات الأدعياء

مكة المكرمة — أحمد محمد جمال

خاطرة

نداء الفلاح...

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

يا صباح النور !

أشرقت على طلعتك ، وكنت غريقا فى ظلام الحيرة ! تائها فى متاهات الظلم ! يا صباح النور !

فى مشرقك إشراق الأمل بقلبى ؛ فقد عشت طويلا أرى أشباحا تجمع الغيم على عينى ، وتحول بين وضاءتك وبينى !

يا صباح الخير !

كنت مخفقا فى حياتى ، ولكنك خفقت بأضوائك تخفق فؤادى لسنا سنائك ! فيك — يا صباح الخير — نور الحياة ، وشرف المبدأ !

كانت الحبات تساقط على جبينى ؛ فتلمع فى وهج الشمس ؛ ثم تروى أرضى الطيبة وتخرج اللؤلؤ الذى أرقبه من بعد ، لأعد حبات الحصى !

***

يا صباح النور !

طال ليلى ، وزاد ويلى ، واستحب استعبادى حتى ذهب رشادى !

أخرس اللسان بعد أن أسكتته الحاجة ، وذل الجنان بعد أن أخضعته الشراهة ، وانحنى الرأس على الفأس لكن بقيت الكرامة !

يا صباح النور !

زعم السادة خلود السيادة ؛ فورمت أنوفهم ، وانتفخت أوداجهم ، وطغت أهواؤهم ، حتى جئت بالأمر الجلل الذى جدع الأنوف ، وقدمت الوعيد الذى قطع الوريد ، وأرهبت الشيطان فتناثرت الأهواء !

يا صباح النور !

كنت أجمع الخير من حقلى لأطعم إخوتى الذين يرقبون نتاجى ، لكن تأبى خليقة الجشع إلا أن تضن أو تمن ، والأرض الطيبة ضاحكة ساخرة !

يا صباح النور !

كنت أتطلع إلى مطلع الشمس ! وأرى أشعتها تبا كرنى بالتحية ؛ فأخفض الجناح ، لأن الخالق قد أودع فيها سر النماء

وكنت أتسمع إلى زقاء الديك الذى يردد تسابيحه فى مشرق اليوم الجديد فأسبح القادر الذى أودع هذا المخلوق تلك القدرة الفائقة !

***

يا صباح النور !

لقد تطلعت فى مولدك إلى بهاء الحياة بعد أن رسمت فى الأفق أشعة الحرية ، والعدل ، والمساواة !

وصحوت على زأرة الأسد التى أرهبت الذئاب ، فذهبت على ظهور الملق والخداع والرياء ، لتظهر العطف على الحملان !

يا صباح النور !

لم تعد سحب تغطى هذه الأشعة الوضيئة ؛ فأنر القلوب لتزول عتمتها وتذهب أحقادها ، وتتألف وحدتها !

***

يا صباح النور !

عشت قانعا فلن أخرج عن قناعتى ، بل أعطى لذى الحق حقه ، غير أنى لا أخفض رأسى لغير فأسى !

يا صباح النور !

أنت أمل مترقب ، بعد يأس مخضع ، فأشرق على الوادى ليرى فيك سر السعادة ، وجمال الحياة !

بور سعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٧ —

اعتبر المزاح في الشعر أول دليل من دلائل عذوبته ولطفه وخفته. والذي يعوزه هذا، ولو كان يمتلك جميع المواهب الأخرى، يمتلك نصف ذهن لأن نظره لا يفارق الأشياء العلوية ليرى الأشياء الدنيوية المحيطة له. وينفرد شلر من بين جميع الشعراء العباقرة بمثل هذا القصور. لأنك لن تجد في كل كتاباته دليلا واحداً على هذه الروح ولا حتى محاولة في هذا الاتجاه. لأن طبيعته نفسها خالية من ذلك. وكانت مشاعره جدية لدرجة لا تسمح لنفسها باتخاذ أي أسلوب فيه أي نوع من المرح أو المزاح. وهكذا لا يمكن الكشف عن أي نوع من الهزل أو الكاريكاتور أو السخرية. هذه الأشياء التي هي جوهر المزاح — في أي شيء كتبه شلر. فمؤلفاته مفعمة بالجد المكدود ولذا يعتبر أرصن كاتب. ولكننا مع ذلك نجد في بعض بحوثه النقدية وخصوصاً كتابه (الرسائل الجمالية) ما يدعى (بالنازع الرياضي) وهو يعتبر أعلى هدف في ثقافة الإنسان. وهذا يدل دلالة بينة على أنه عرف معنى الهزل وأهميته بالنسبة إلى فكره، ولو أن ذلك كان غريباً عنه وبعيداً منه ... ومع ذلك فهو لم يدرك هذه الذروة التي رآها بكل هذا الوضوح والجلاء. فالروح الرياضية ظلت معه مجرد نظرية إلى الأخير. وباستثناء كتابه (ولنشتاين لارغر) — الذي يظهر فيه الهزل باهتاً ضحلا — فإن محاولاته في هذا الخصوص — على قلتها — كانت ثقيلة جامدة. وميزاته في كل شيء كتبه لا تعدو الشدة الصارمة والغيرة الحماسية الجدية، والفخامة البعيدة عن الرشاقة، بينما نرى الخفة والروح الرياضية معدومة فيه تماماً. لقد كانت عنده فطنة ولكن هذه الفطنة لم تكن أهم مواهبه. وربما يرجع ذلك إلى إخلاصه واستقامته في استخدام فطنته، وانصبابه على تبين العلائق العميقة بين الأشياء بدلا من ملاحظة تصادماتها الوقتية. زد على ذلك أنه كان يقصد (الإثبات) لا (النفي) — أي أنه كان يعتبر ما هو موجود أنه أحسن ما هو موجود — وفي النفي وحده يظهر عامل الفطنة الهازلة. لقد وضعنا هذه الملاحظات للاشارة إلى حدود عظمة شلر والفرع الذي اختص به. وهذا لا يعني نكران حقيقة هذه العظمة. أما شعوره بالحقيقة تأملا وعملا وإدراكه البهيج العميق للطبيعة والانسجام الحي الذي بواسطته يتمكن من تصور ما هو جليل وعظيم في الطبيعة، فأمور يعرفها كل من قرأ كتبه، وعليه فليس من حاجة لتذكيرهم بها. وهو يعد في طليعة الشعراء الذين كتبوا في البطولات التراجيدية الشجية، إذا لم يكن أعظمهم إطلاقاً. وهناك أمام دارسي شلر الثائرين جهاد شاق قبل التعرف على آرائه، لأن الكنوز الخفية من الفكر والشعور لم تزل مغطاة بغطاء النسيان. وهناك نغمة في بعض كتبه الأخيرة فيها لحن العوالم العليا مجسداً في الفن. وعليه فليست النواقص الطبيعية والعرضية التي عرضناها في عبقريته، بمانعة من اعتباره من أعاظم الشعراء، وهذا ليس غريباً في شيء لأن كثيراً من الشعراء العظام كانت لديهم هذه الهنات. ولنضرب لذلك مثلا، ملتون، فهو يقاسمه في كثير من معايبه، لأنه كان يركن إلى الجزالة في اللفظ والفخامة في الأداء، ويتطلع إلى الأعلى وإلى كل شيء جدي، أما ما يخص شؤون الحياة الأرضية فتراه قاصراً في فهمها وإدراكها. وهو كذلك ليس لديه من المزاح إلا القليل. وأسلوبه خشن في الهجاء مع توكيد على السخرية والتهكم وابتعاد من المرح والروح الرياضية اللعوب. أما من الناحية الإيجابية فهناك تشابه أكبر بين هاتين الشخصيتين، ولو أن شلر عاش في ظروف أخرى، ولم يمتلك تلك القوة الروحية العنيفة ولا تلك القابلية الضخمة، ولكنه كان يشبه ملتون في شدته وتركيزه على ما هو سام في الطبيعة والفن. وقد عشق — كل على طريقته الخاصة — ذلك السناء السماوي — وعبده عبادة قلبية صادقة. ولكن طبيعة شلر يعوزها الانسجام الفني الذي امتاز به ملتون. وقد عرف ملتون بعمقه وعذوبة موسيقاه المترابطة. ومع ذلك، فعند شلر شيء من القوة النقية المتفجرة

والنغمات العذبة التي تشبه في جلالها وعمقها وفخامتها نغمات ملتون الخالدة

امتاز شلر في العالم كمؤلف دراماتيكي ، وغالبا ما نشعر بأن القدر وليس الميل الطبيعي هو الذي قاده في هذا الاتجاه ، لأن موهبته كانت غنائية (lyrical) أو بطولية (Epical) أكثر مما كانت دراماتيكية . لقد عاش منطويا على نفسه ، وهذا ما جعل عمله في تصور العالم الخارجي أمراً صعباً . لا بل إن كثيراً من شعره — كما أشرنا من قبل — هو خطابي أكثر مما هو شعري . ومع ذلك ، فالنار النقية الوهاجة ظلت مستعرة في أعماق روحه ، هـذه النار التي لا تجد متنفساً إلا في الشعر . أما بقية سجيته فكانت أميل إلى الصرامة العادية ، مما جعل تطور قابليته الشعرية أمراً في غاية الصعوبة والإجهاد . فهذا العنصر المسيطر النقي لم يكن يتطور التطور المطلوب ، لأنه كان كالنهر البطيء الجريان في وسط صخور ناتئة كبيرة . لقد تكلمنا كثيراً عن حمية شلر غير المجزأة في التثقيف الذاتي وفي التقدم الذي احرزه بالرغم من الصعوبات التي تخطاها . يتجلى لنا ذلك بكل وضوح إذا نحن قارنا بين مؤلفاته المبكرة والمتأخرة . وبهذه الواسطة سنقدم لقرائنا الذين لم يتعرفوا على شلر فكرة واضحة عن شخصيته الشعرية ، لأن الوصف وحده غير مجد في ذلك . دعنا نأخذ (اللصوص) لأنها أول إنتاجه ، هذا الإنتاج الذي يدعوه شلر (بالعملاق الذي ولد في التزاوج غير الطبيعي بين العبقرية والعبودية) ؛ ولا شك أن النار المتأججة في هـذه القطعة حتى في الفقرات المنفصلة . وللمنظر الآتي معجبون حتى في ترجمتنا الإنجليزية العادية المائعة وهي المنظر الثاني في الفصل الثالث

« اللصوص »

منظر ريف على الدانوب

اللصوص مجتمعون في المرتفع تحت الأشجار الوارفة ؛ الخيل ترعى في سفح التل

مور : لا أقدر على السير أكثر (يرمي بنفسه على الأرض) . إن أطرافي تؤلمني وكأنها سحقت سحقاً . إن لساني لافح من العطش (يتسلل شفارز خلسة) . أرجو أن تجلبوا لي قليلا من الماء من الساقية ؛ ولكنكم متعبون حتى الموت .

شفارز : وكذلك الخمر موجودة في الأدنان

مور : أنظر ما أجمل موسم القطاف ! إن الأشجار تتكسر تحت أثقالها التي تنوء بها . والأمل في الكروم كبير

كرم : إن السنة سنة خير

مور : أتظن ذلك ؟ وإذن فمتاعب الإنسان في هـذا العالم ستجازى . ومع ذلك فقد تدهمنا عاصفة برد فتدمر كل شيء

شفارز : هذا محتمل تماماً . قد يدمر كل ذلك قبل الحصاد بساعتين

مور : وهكذا أقول أنا . سيتدمر كل شيء . لماذا ينجح الإنسان . فيما يتعلمه من النملة ، بينما هو يفشل فيما يجعله شبيهاً بالآلهة ؟ أهذا الهدف الحق من مصيره ؟

شفارز : أنا لا أعلم ذلك

مور : لقد قلت حسناً ، وأجدت عملا ، إذ أنك لم تحاول أن تعرف ذلك ! — أخي — لقد نظرت إلى الناس وإلى مخاوفهم التافهة ومشاريعهم العظيمة وخططهم الآلهية ومشاغلهم الوضيعة ومسابقاتهم المدهشة لإدراك السعادة ؛ فمنهم من يعتمد على عدو حصانه ، ومنهم من يعتمد على دابته ، ومنهم من يعتمد على قدميه ، وفلك الحظ دائر بسرعة جنونية ، ومثل هـذا الفلك يقرر مصير كثير منهم . وكل يسعى لا هماً للحصول على الجائزة ، ولكن البطاقات كلها فاشلة . إنها ، يا أخي ، مأساة تستنزل الدمع الدامي ولو أنها تستثير الضحك

شفارز : أن غروب الشمس رائع جدا

مور : (متوارياً عن الأنظار) وهكذا يموت البطل ليعبد

كرم : يظهر إن هذا أثارك

مور : عندما كنت صبيا ، كانت فكرتي الحبيبة أن أعيش كذلك وأموت كذلك (بألم دفين) لقد كانت فكرة صبي وحسب

كرم : آمل أن يكون ذلك حقا !

مور (ينزل قبعته على وجهه) يوم كنا ولا تسل كيف كنا ، دعوني . وحيدا ، أيها الرفاق

شفارز : مور ! مور ! ماذا ؟ باللشيطان ! كيف تغير لونه !

كرم : ها ! ماذا يؤلمه ؟ أهو مريض ؟

مور : مرت أيام لم أكن أستطيع أن أنام فيها إذا أنا نسيت صلاة المساء ...

كرم : هل أنت مجنون ؟ هل تترك مثل هذه التخيلات والوساوس لتهذبك من جديد ! ؟

مور : (يضع رأسه على صدر كرم) أخي ! أخي !

كرم : تعال ! لا تكن طفلا ، أستعطفك بالله ...

مور : آه لو كنت طفلا ! آه لو كنت وحيداً !

كرم : بوه ! بوه !

شفارز : مرحى . تطلع إلى المنظر البديع والمساء الجميل

مور : نعم أيها الأصدقاء ، إن هذا العالم بديع حقا

شفارز : نعم ، هذا حق

مور : إن هذه الأرض رائعة

كرم : حقا ، حقا ، وهو كذلك

مور : (مستلقياً على ظهره) ولكني بشع الخلقة في هذا العالم الجميل وغريب الشكل في هذه الأرض الرائعة

كرم : دعنا من ذلك

مور : سذاجتي ! سذاجتي ! أنظر ، إلى الأشياء كيف تضحى تحت أشعة الربيع الهادئة : لم يجب علي أن أتنشق عذاب الجحيم من مسارب مسرات الحياة ؟ والناس كلهم مسرورين تربطهم رابطة السلام ؛ والعالم عائلة واحدة ترعاها عين الأب الحدب في الأعالي ، ولكنه ليس أبي ! وأنا وحدي طريد شريد ، وبعيد عن مجتمع الأخيار ، ليس لي ولد يلغ باسمي ، وليس لي أمل في نظرة واهنة . ممن أحب ، ولا رجاء في عناق صديق حميم . أنا محاط بالقتلة ، والأفاعي تفح حولي ، أنا مندفع إلى خليج الفناء على تيار الإثم التدفق

شفارز : (إلى الآخرين) ما هذا ؟ لم أره هكذا قبلا أبدا

مور : (بحزن مثير) آه ، لو كان في إمكاني الرجوع إلى بطن أمي ! — آه ، لو ولدت متسولا ! كلا ! أيتها السماء أنا لا أجرؤ أن أصلي كي أكون واحدا من العمال حتى أعمل طول نهاري . أعمل حتى يتفطر صدغي دما ، لأشترى لنفسي راحة نوم ظهيرة واحدة . وعزاء دمعة واحدة

كرم : (إلى الآخرين) صبرا لحظة واحدة ، لأن النوبة عابرة

مور : لقد فات الزمان الذي كنت أتمكن من البكاء فيه . آه على أيام السلام ، يا قلعة والدي ، أيتها الوديان الخضراء ! واها على مناظر طفولتي ! ألا تعودين إلى مرة أخرى بتأوهاتك السكرة العاطرة لتهدئ روع قلبي المستعر . اندبي معي أيتها الطبيعة . إن هذه الأيام لن تعود مطلقا لتطفئ النار المشتعلة في صدري . إنها ذهبت ! ذهبت ! ولن ترجع

« أو خذ مثلا مناجاة مور في موضوع الانتحار ، في غابة في منتصف الليل بين اللصوص الراقدين »

(يترك القيثارة جانبا ، ويسير صعودا ونزولا في تفكير عميق)

للكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

سليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »
للأستاذ أحمد الفخرى

تتمة

ليس بإمكان النفس المطمئنة أن تستريح والزمن يمضى سريعا ، والجديدان كل يوم فى شان ، فما بالك بالشاب العربى الجريح ، الذى ينتظر بحماس نافد الصبر يوماً يمسح بعزته ذلة كاومه فلا تزيده الأيام إلا كلوما . . . والذى يترقب ، فارغ الصبر نشيد الحرية والنجاة فلا يسمع إلا نشيد الوهن والخيبة والهزيمة . . . وبل لهذا التعس المفؤود . . . إذا هو أغمض عينيه هزمت عنهما الرقاد ذكريات المآسى ، وإن هو منحهما فلا يلمح فيهما إلا ما يحز قلبه وينكأ جراحه

أين ألقيت ناظرى نملى نصل   مميت يختل صدر بلادى

***

وطن الضاد . . ياشهيد الأفاعى   كل يوم جريمة واعتداء . .

ويل لهذا الشاعر المسكين . . ما الذى بمقدوره أن يفعله لهذا الوطن المسكين ...

ما الذى يستطيع إنقاذه منـ   ـك قصيد ودمعة خرساء ؟

إنه لا علك إلا نفسه وإلا هذه الأمانى . . فلتهب رفافة ندية تروى هذا القفر تارة ، ولتعصف ملتهبة منتقمة تارة أخرى . .

أ إذا ذبت كالندى لأروى   كل شبر من قفرنا الظمآن ؟

أ إذا ما أفنيت فى ميعة العمر   انتفاضاً على الأذى ، والهوان ؟

أ إذا ما أحرقت روحى لأهدى   بسناها مسالك الأظعان ؟

هل يعود الربيع والطير ياروض   هنىء وتغدو الحياة مل الجنان؟

***

ليتنى كنت فى عين الليالى   خنجراً . . ما لشفرتيه ارتواء !

ليتنى فى صميم كل فؤاد   أضمر النذر . . طعنة نجلاء !

***

ولكنها لا تزال أمنيات ... على أنها لو عاشت فى خيال شاعر غير عربى لحققها له زعماؤه ، فلنسأل زعماء العرب ، وهذا نصف قرن يصولون فيه ويجولون . . لنسألهم هل استطاعوا أن يحققوها ؟ أم فرطوا فيها وساعدوا على فقدانها ؟ ويل لأكثرهم من سخرية التاريخ ! وويل لهم من حساب هذه الأمة إذا انفجر بركانها . . آه يافلسطين

أوليت أمرك خادعين يمزقونك كيف شاؤوا . .

هم داؤك الفتاك لا البؤس الملح .. ولا الشقاء . .

بدمارك افترشوا النعيم وماج حولهم الثراء . .

بدم الجياع . . ودمعهم شيدت قصورهم الوضاء . .

مهلا . . سينهتك الستار إذا تكلمت الدماء . .

***

ماذا ؟ أترتقبين خيراً من « جنانك » أو فلاحا !

يكفيك إغضاء على البلوى . . ويكفينا جراحا . .

عرفوا القيادة « منصباً » يعلى .. وتضليلا صراحا . .

وتجارة يتقاسمون بها دم الشعب المباحا . .

فى صدرهم . . يا أمتى — إن تشهرى يوماً سلاحا

***

قالوا : فلسطين فقلنا : دونها وخز القتاد . .

شرف العروبة لن يكون على الأذى سلس القياد

أسمعت أبواق « العبيد » تصم آذان الجهاد ؟

وتهز بالخطب الشداد دعائم السبع الشداد ؟

وتصيح نافذة دماها للمعارك والجلاد

أين الجهاد ؟ وأين أبواق البطولة . . يابلادى . .

لفظت فلسطين الحياة « ومجرموك » على الحياد

أو لم يزالوا « يلتقون » على الخيانة والفساد ؟ .

أعلمت أين ممزقوك ومسلموك لكل عادى ؟

***

أجل ... هؤلاء الزعماء هم الذين مزقوا البلاد ، وأضاعوا فلسطين .. كما أضاعوا من قبلها لواء « الإسكندرونة » وإذا لم يزاحوا فستصبح البلاد العربية و « فى كل زاوية فلسطين مدنسة التراب » وإذا لم يحاسبوا

ف : خل اللواء فإنهم لن يخجلوا   أن يجعلوا كل البلاد لواء

يا لهذا المسكين ... ويا لرفاقه الشبان المساكين ... ويا لهذه البلاد المسكينة ... أفلا تكفيها مخالب الغاشم المستعمر ليتعاون الزعماء على تمزيقها ؟ مهلا أمتى مهلا .. فالنهاية لن تطول

ضمدى أمتى جراحك وامضى | لك يوما ... مع (الجناة) لقاء
سيوافيك من خلال المنايا | والأعاصير ... فجرك الوضاء ..

* * *

ويا وطنى :

قل « لصهيون » : دون أحلامك السو | داء عض الشجا ، ولسع القتاد
لم تهن-مثلما ظننت-على الصيـ | ـاد يوما فريسة « الصياد »
لا يغرنك الهدوء على الغا | ب وتطمعك هجمة الآساد
يعلم الناهلون من دمنا المهـ | ـدور أن الثارات بالمرصاد

* * *

ويا شباب العرب :

قولوا « لسيدة البحا | ر» الموج و«ظلما» من حاكميها
قولوا لها : ليس الخضـ | ـم كما أرادته ... سكونا
إنى لألمح خلف | صمت الموج إعصاراً دفينا
وزعازعاً ... قد تحطم الـ | ربان يوما والسفينا
إنى لألمح فى العبا | ب تمرداً ... لا بل جنونا

* * *

ويا وطنى لا تخدعنك الفرحة البتراء .. ولا يغرنك الاستقلال إذا لم يكن شاملا ولم تتم فيه الوحدة : —

أبلغ الشام وهى مائجة الأفـ | ـراح نشوى من فجرها المتهادى
وأغانى « الجلاء » تلعب بالعو | د كما تشتهى ، وبالأعواد
لم يحن بعد موعد العرس (فيحاء) | ولا جر عاطر الأبراد ...
لا تقيمى الأعياد فالفرحة (البتراء) شوك فى جبهة الأعياد ...
أتغضين عن فجيعتك الطر | ف أيبقى (الأسير) من غير فادى؟
أفتنسيننا ؟ ولم ننس يوماً | أننا نذر فكرة ، واعتقاد ؟
أتنامين عن (ضحيتك) البكر | أهذا عهد الكرى والرقاد ؟
وطنى كل بقعة يتجلى | فوق غبرائها محيا (الضاد)

* * *

هذا هو العربى الصميم ، وهذه هى الوطنية الصادقة التى إذا غشى عليها اليأس قبست من التاريخ الحى فى أعماقها ما يجلو الدجى ويزيح الظلام

أرأيت أحر من هذا الفؤاد ؟ أسمعت أروع من هذا الزئير ؟

هذا هو سليمان . . شعلة متأججة بالوطنية ، وشباب يتدفق حماسة ، وروح مرهف تدميه هذه المآسى والنكبات وفكر وقاد يرى ويدرك ، وخيال خلاق يتصور ويصور ، ولسان ماض أتته اللغة منقادة طيعة فصاغ بها تلك الآلام أناشيد دامية تهز الموتى ، وأنطق بها تلك الفواجع زفرات مشبوبة تلسع الجماد . . ثم مضى يستوحى التاريخ العربى المجيد أسياده ويوقظ من نام كتابه ، حتى ماج ديوانه بالعباقرة والأبطال ، وزخر بالبناة الخالدين والقادة المراد . . . بعثهم فى أروع صورة ، وأنطقهم بأبلغ لسان :

لا تلمنى إذا بكيت على الما | ضى ؛ على عزنى ، على عنفوانى
أنا أحيى التاريخ فى كل ومضى | من خيالى ، وخفقة من جنانى

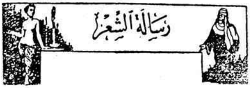
ثم عاد يصور أقزام هذا العصر تصويراً دقيقاً شفافا أظهر ما أسن فى قرارتهم ، وبين ما احتقن فى أعماقهم من خور وطمع ، وجشع وجبن ، ثم عرج على الشعب المخدر يوقظه ويصور له هول مآسيه وجمال ماضيه تصويراً يستفز الجماد ويلهب الجليد

أتلمست نفساً أحر من هذا النفس ؟ وزفرة أطول من هذه الزفرة ؟ إنها الأمة حاضرها وماضيها . . لقد انصهرت فى عواطفه فصاغها آلاما وآمالا . . وسيظل يسقى من هذا المعين الذى فى فؤاده ، والذى لا ينضب . . وهل تنضب الأمة العربية إيحاء ؟

أما إنى — علم الله — لم أسمع مثل هذه اللحمة ، ولم تهزنى مثل تلك الأناشيد .. وبقدر ما أنا معجب بها وبصاحبها أتألم له ولها . . وأتمنى لو تحققت آمالها لتتحقق آماله ليخف الألم ، وليسكرنا سليمان بأناشيد الشباب المرحة الخالدة : —

شعل الحب والصبا والرغاب ..
لست حرا . . لتعصفى بشبابى ...
إهدئى الآن . . واقذفى بركابى
فى الأعاصير ، فى لهاة العباب
أنا لو حقق الزمان طلابى ...
عشت وقفاً على العيون السود | وأذبت الحياة فى عنقود ...

أحمد الفخرى



قصر شمبرون ..!

للشاعر الكبير عزيز أباظة

فى صيف العام الماضى زار الشاعر الكبير عزيز أباظة قصر شمبرون بمدينة فينا عاصمة النمسا ، ذلكم القصر الذى كتب فيه تاريخ النمسا ، والذى شهد أروع أمجادها وأجل أحداثها ، وقد طاف الشاعر بغرف ملوكها ومقاصيرهم ، هؤلاء الملوك الذين حكموا أكثر من خمسمائة سنة ، ثم زالت دولتهم ، وانطوت أيامهم على صحوة الشعوب ..

اضطربت هذه الخواطر فى نفس الشاعر الكبير ، وأثار مشاعره الطغيان الذى كان مضروبا على وطنه

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة فى العام الماضى ، وهو يتوقع لمصر نفس المصير الذى كتب على النمسا ، ثم ظلت القصيدة حبيسة عهد كريه طوته حركة الجيش الباسل ، حتى أذن الله لها أن تجد سبيلها إلى الناس

* * *

قال حادى القطار ، هذى فينّا ... فنشطنا من أسرنا وهبطنا
واحتوتنا سيارة تنهب الأرض ... فقلت اخطرى الهوينى الهوينى
إنما تسبحين فى سموة التاريخ ... رفت هنا جمالا وفنا
خصها الله بالرواء فما تبصر ... إلا حسنا يناغم حسنا
روعة إن شهدتها وهى يقظى ... وفتون إن جئتها وهى وسنى

* * *

ما لها جهمة المعارف حسرى ... أدلال الصدود قبل الوصال ؟!
ومن النيد ، من ترى وهى غضبى ... آية من سماحة وجمال
أين ثغر يفتر عن ألق الخلد ... وهدب يخفى جنون الليالى ؟!
أين عزف كأنه من لحون الله ... طهر الأهزاج والأرمال ؟!
ما لفينائها ذوى ؟ ما لشمس ... آذنت عند صحوة بزوال ؟!
أين حور كأنهن اللآلى ... إن أطاقت صيد القلوب اللآلى ؟!
أين ليل ينهل صبحا فما يماز ... إلا بهجة الأطفال ؟!
أكلت فتنة الليالى الليالى ... فامحت كالرؤى المذاب الخوالى

* * *

ووقفنا فى «شمبرون» فهاج النفس ... ذكرى الأقيال من «شمبرونا»
غرف خر فوق أعاطها الدهر ... وإن فض سترها المكنونا
ومقاصير شب فيها ، وشاب المجد ... ضخم الأسناد حتى بلينا
نسق من قياصر ، لم يروع ... بدخيل ، ولم يقل هجينا
عترة الكابرين من (هبسبرج) ... أين هم فى الكواكب الآفلينا ؟!
قال لى رائدى الذى يحفظ القول ... ويزهى به على الزائرينا
هذه حجرة الذى اعتبد الدهر ... وثل العروش «نابليونا»
واصطفاها ابنه ، فأينع فانهار ... فأودى فيها ذليلا سجينا
ومضى فى الذى يدير من القول ... ولم يلفنى سميعاً أذينا

* * *

ملت عنه إلى مناجاة نفسى ... أى دنيا هذى ، وأى مقادر
هتكت حرمة الملوك ، ودكت ... برحاها الطحون تاج القياصر
وطوتهم صرعى ، كما ينطوى الليل ... وطاحت بعادل وبجائر
أفنهج الزمان هذا ؟ يشيد الصرح كالطود فوق أنقاض آخر ؟!
أم هفا الناس للجديد من الحكم ، فخاضوا له لجاج المخاطر ؟!
ظلم الناس ، ليس كل جديد ... بشهى الجنى ، ولا كل داثر
إن حكم الملوك ، إن كان عدلا ... وعزوفا عن الهوى والكبائر
والتماسا لطاعة الله فى الناس ، ... يبث الشورى ، ودعم النائر
واحتفاء بهم ، وعطفا عليهم ... فى جدا صابر ، ورحمة قادر
واقتضاء من المياسير للمحروم ... حتى يأتمهم غير صاغر
وانتصافا من الجبار للضعفى ... فلا يصطلون نار الجبابر
فهو ضرب من حكم أربعة الأشياخ تسنى به الدنا وتفاخر

* * *

قال لى رائدى ، أتسمع ؟ قلت السمع ملآن ، والجهود قواصر

عزيز أباظة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

استهل نادى الاتحاد الثقافى موسم محاضراته هـذا العام ، بمحاضرة لعميد الأدب العربى الدكتور طـه حسين عن مهمة الأديب فى مصر

وقد غصت حجرات النادى وشرفاته وأبهائه بجمهرة كبيره من الزوار والوافدين وكبار الشخصيات

وكان فى مقدمة هؤلاء السيدة كريمة السعيد وبعض فضليات المربيات والأساتذة محمد صلاح الدين وحسين هيكل وأحمد زكى وكامل كيلانى وسعيد العريان وأنور أحمد

وكان الدكتور محمد عوض محمد يشرف على النظام العام بروحه اللطيفة ومداعباته البارعة

وتحدث الدكتور ساعة كاملة ... فعرض موضوعه فى لباقة وبراعة .. واستطاع أن يخرج لنا صورة حية لهذا الموضوع الدقيق تناولت جوانبه الفياضة بالعرض الدقيق

تحدث عن الأديب العربى القديم : أيام الجاحظ والمعرى ... وتحـدث عن الأديب الحديث فى الشرق والأديب الحـديث فى الغرب .. وعرض لمؤتمر البندقية

وصور مسئولية الأديب الإجماعية فى هذا الزمن ، وكيف أنه لا يستطيع أن يجمع بينه وبين عمل آخر . ذلك لأن الأدب الآن يتطلب جهدا جبارا ، ويتطلب من الأديب ألا يشرك به ، وأن يتجرد له ، يقرأ ويدرس ويستقصى.. ويلم بكل جديد من الآراء؛ وهو إذا قصر فى هذا ، عجز أن يجرى فى ركب الحضارة

وقال إن الدولة ملزمة بأن توفر للأديب أسباب الحياة حتى يستطيع أن ينتج

ثم عرض لحرية الأديب فقال إن الأديب لا يستطيع أن ينتج إلا إذا أحس بأنه حر فى أن يكتب ما يوحى به ضميره وتهجس به نفسه . وأنه مسئول كعضو من أعضاء المجتمع عما يذيع بين الناس وعليه تبعة ما يكتب

ومن تبعاته أن يوجه وأن يهدى إلى الخير والحق والجمال وعليه ألا ينزل إلى الناس ولا يرضى أهواءهم ، وإنما عليه أن يرفعهم إليه وأن ينقلهم من الحياة العامة التى يحبونها إلى حياة فكرية ممتازة

وصور عميد الأدب أثر الصحافة والسينما والإذاعة بالنسبة للأدب والكتاب المطبوع وقال إن الأدب قد تحرر من سلطان الملوك والأمراء . وأنه لن يقبل بحال أن يعود إلى هذه العبودية

وعرض لقضية « أدباء الشباب » فكان غاية فى الإنصاف . وطـالب بضرورة تهيئة الوسائل الكفيلة بإعانتهم على الإنتـاج والتبريز

وقد أولى هو هذا الموضوع مقالا من مقالاته فى الأهرام ، كما بدا فى هذا الأسبوع ينقد إنتاج الأدباء الشباب ، وقد تناول قصـة « إنى راحلة » ليوسف السباعى . وهى ظاهرة جـديرة بالتسجيل لعميد الأدب

ولم يكن الدكتور طه حسين فى محاضرته جافا ، ولا متكلفا ، بل كان شعبيـا منطلقا ، وكان لا يترك مناسبة دون أن يدخـل عنصر الفكاهة اللطيفة الممتازة ، فى حديثه ، ومرتين أثار عاصفة من الضحـك . عنـدما عرض للأدباء الذين يعملون فى المصالح الحكوميـة ومعاملة رؤسائهم لهم ، فى تعنت وصلف . وعنـدما أشار إلى أن كل أديب من شأنه أن يذهب إلى السينما لأن أهلـه يفرضون عليه هـذا الذهاب . ولذا لا يستطيع أن يتخلف ليقرأ كتابا من الكتب مثـلا ! وأثار الدكتور عاصفـة من التصفيق الحاد عنـدما عرض لتحرر الأدب من سلطان الملوك والأمراء ، وعندما صور الحياة الأدبية التى يمكن أن تستقبلهـا مصر فى ظل العهد الجديد

نقابة الأدباء

وكان الدكتور طه حسين قد اجتمع بأعضاء نادى القصة فى الأسبوع الماضى ، هـذا النادى الذى يخرج الكتـاب الذهبى الشهرى ... وقد تحدث الدكتور فى هذا الاجتماع عن مشروعه

الذى يوشك أن يتقدم به إلى الجهات الرسمية لإنشاء نقابة للأدباء ترعى إنتاجهم وحياتهم ومستقبلهم وتهيئ لهم حياة كريمة على أن تكون موارد هذه النقابة بعض حصص على المؤلفات القديمة والمؤلفات الحديثة

ولا شك أننا فى حاجة إلى أن نقرأ تفصيلات وافية عن هذا المشروع فهو يهم جميع الأدباء الآن، وبخاصة الذين يعملون فى الوظائف الحكومية، والذين قد يخيرون بين العمل الأدبى، أو العمل الصحفى، وبين وظائفهم الحكومية

فعسى أن يتفضل الدكتور العميد بنشر تفاصيل هذا المشروع

النشاط الثقافى

افتتحت فى هذا الاسبوع ندوة الجامعة الأمريكية بمحاضرة للرئيس السابق على ماهر عن « فلسفة الثورة المصرية الجديدة »

كما افتتح النشاط الثقافى لنادى ضباط الجيش بمحاضرة للدكتور مصطفى الحفناوى المحامى عن قناة السويس

كما استجابت جمعية الشبان المسيحيين لملاحظة الرسالة فعقدت مهرجانا شعريا عن أهداف الثورة ودعت إليه بعض الشعراء الذين وردت أسماؤهم فى باب « الأدب والفن »

وقد علمت أن شباب القراء الذين دعوا إلى الندوة الأولى قد ظنوا على أثر كلمتى التى طالبت فيها بدعوة القدامى من الشعراء أن هذا انتقاص لحقهم، وما أردت هذا، ولكنى رجوت التنويع وربط الأواصر، وضم الكفايات المختلفة، وأحببت أن تنمحى تلك النزعات القديمة التى كان يحرص أصحابها على دعوة فريق من الشعراء، متجاهلين العناصر الأخرى

وإذا اتجهنا نحو المسرح أو السينما لاحظنا سمة « فن الثورة » أيضا.. فهناك فيلم مصطفى كامل ومسرحيات نزاهة الحكم، ونهاية الأندلس وغيرها. وهكذا أخذت روح الثورة الجديدة تبرز فى الإنتاج الثقافى بصفة عامة

هل عندنا شعراء أو شاعرات:

لفت نظرى فى مجلة « القلم الجديد » التى يصدرها فى عمان الأديب الكاتب السيد عيسى الناعورى مقالا للدكتور زكى أبو شادى عن « أبو القاسم الشابى » تحدث فيه الشاعر المهاجر عن الشاعر الذى ودع الحياة وهو فى ريق الشباب

واهتززت فعلا عندما وقع نظرى على مفتتح قصيدته « صلوات فى هيكل الحب »

.. هذا المطلع الذى ما قرأته مرة إلا أحسست بأن الشابى كان يعيش فى غير دنيانا.. وأنه لا يصدر عن نفس يمكن أن تكتب لها الحياة الطويلة..

« عذبة أنت كالطفولة، كالأحلام، كاللحن، كالصباح الجديد »
« كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء، كالورد، كابتسام الوليد »

وعجبت كيف لا نجد مثل هذا الشعر اليوم عند شعرائنا الشباب، هذا الصدق، هذه الحيوية الفياضة، التى تدل على أن الشابى عاش تجربة شعورية كاملة، كان مزيجا من الصدق والوفاء.. وكانت غاية فى السمو والنقاء

وبينما أقلب صفحات المجلة، وقع بصرى على شعر آخر، كتبته الشاعرة العراقية نازك الملائكة

.. ولفت هذا الشعر نظرى أيضا.. لقد قرأت شعراً لأكثر من شاعرة عندنا هنا فى مصر... ولكنى لم أحس وقدة الحياة فيه كما أحسستها فى شعر نازك الملائكة أو فدوى طوقان...

فلماذا تنقص شاعراتنا هذه « الأنوثة » والحيوية.. أعتقد أن السبب واحد، وأن النقص مصدره واحد فى شباب القراء والشابات

إن شعراءنا وشاعراتنا — إن صح أن عندنا شاعرات — يتكلفون ويتكلفن، إنهم لا يعيشون الحياة الصادقة، التى تمنع الوحى الصادق أو تمد بالإلهام!

وهذه لمحة من شعر نازك الملائكة

استرحنا.. كشف اللغز ومات المبهم
وتلاشت حرقة الأحلام فى لون العيون
استرحنا.. هدأ الشوق ووراه السكون
استرحنا نحن وارتاح الزمان الفهم
وغدا يهزم الماضى بعيداً
ونرى أعيننا شيئا جديداً

ولا زلت أحس بأننا لم ننشأ الأدب النسوى بعد.. ولا



آن لهذا الشعب أن يفهم

تأليف الأستاذ عبد المغنى سعيد

للأستاذ أحمد عوض

هذا الكتاب من بواكير التأليف بعد النهضة الكبرى ، فهو يهدف إلى مراميها وتتمثل فيه طبيعتها . هو مثلها شعور طال كبته ثم تدفق فجأة عند أول فرصة لتدفقه كما ينفجر البركان عند ما تقترب متفجراته الحبيسة من طبقة أرضية ضعيفة

ولقد تسبق التفجر إرهاصات منبهة به كما سبقت النهضة أزمات حادة ، وكما تلجلج هذا الكتاب فحاول الخروج قبل أن تخرجه المطبعة على الصورة التي أخرجته بها الآن . ففي سنة ١٩٤٢ حاول مؤلفه السيد عبد المغنى سعيد أن ينفس عن شعوره الجياش وأن يخرج جانبا من الكتاب باسم « تيارات الانحلال وتيارات الحرب فى مصر » ، وحاول إذ ذاك أن يوضح خفايا فترة الانحلال ، ويحلل اتجاهات الإصلاح ، ويرسم المحاولات الارتجالية التى كادت تتمثل إذ ذاك فى الأحزاب ، وأن ينبه إلى ماشابها من خطأ ، وما يصيب البلاد من ضرر لو لم يفسح للثورة الفكرية المحبوسة فى الصدر مجال للظهور

لقد بدت هذه المحاولة ، ولكن لم يكن الوقت قد آن لنشوب الثورة فى مصر . ولا لصدور التعبير عنها بمثل هذا المؤلف ، فلم يفلت مشروع كتابه من مقص الرقيب

واضطر إلى انتزاع أجزاء منه وتقسيم فكرته ، بعد تهدئتها على فصول نشرت فى الصحف ، ولكن ذلك لم يكفه ، فأعد من كتابه نسخا معدودة على الآلة الكاتبة ، بعد أن أعاد كتابة ما نشر وزاد فيه من التوسع فى الصراحة

لكن هذه الفورة لم تكن لترضيه ، ولم يكن فى الإمكان نشر الذى يرضى ، فهرب النسخة الكاملة من معتقله فى المنيا

وهكذا كانت الثورة نفسها تحاول الظهور ثم يحول دون ظهورها ما حال دون ظهور الكتاب وأمثاله من رقابة ، إذ تشبها بشيء فيقشرة الأرض الغليظة فوق ثورة محبوسة فى صدر بركان

وحدثت الثورة وظهر الكتاب (آن لهذا الشعب أن يفهم) ؛ هذه فى شهر يوليو سنة ٥٢ ، وهذا فى شهر سبتمبر سنة ٥٢ ، ولكن تأليفه كما تقدم يسبق صدوره بكثير

وليس الكتاب تاريخا للثورة ولا شرحا لمبادئها ؛ ولكنه صورة منها . هو انفعالات قوية فى اتزان . ثائرة ثورة العقل المقتنع لا الشعور الصاخب

لم ينسج على منوال الكتب التاريخية ولا الأدبية . ولكن المنطق الذى يسوده منطق الثورة ، منطق هذه الثورة بالذات ، لا أية ثورة أخرى ؛ ففيه حكمتها ورصانتها ، فيه صفوة التجاريب التى أنضجت مصر فى ألوف السنين

تترسم فيه خطى النهضة فى محاولتها الفرار من محبس الكبت ، بادئة بالمظهر العسكرى فى عهد محمد على ، ثم بالمظهر الأدبى من خطابة وكتابة ، ثم بالمظهر القانونى من جدل ونقاش ومفاوضة إلى أن تتبلور فتجمع كل الخصائص والمزايا ، وتتحرر من كل وجوه النقص ، فتقذف بالحواجز التى رقت وسخفت ثم تدفعت فتهاوت

فى أسلوب السيد عبد المغنى كما فى أسلوب النهضة ، أثر من تلك الأساليب ؛ غير أنه كالنهضة سيد لما يستخدمه من وسائل التعبير

الشعر النسوى بالطبع !

وإذا كنا نحن اليوم فى مطلع نهضة جديدة ، فإننا نحب من الشعراء أن يكونوا روح هذه النهضة . . نريد ذلك الشعر الذى نحس أن الحب فيه يصعد إلى السماء . . ويرف مع الملائكة !

نريد تلك الروح النقية الصافية الخالصة التى لا تشوبها الفاحشة والمجون !

فمتى نرى هذا الشعر ! عندها يحق لهؤلاء وأولئك أن يقولوا إنهم شعراء !

أنور الجندى

ليست عسكريته وسيلة عامة لغاية خاصة . وليست لهجة استنهاضه دعاية للنوم فى أجفان طفل يراد إيقاظه . وليست قانونيته مغالطة يقصد بها إخضاع الحق لمنطق تشريعى

ولكن عسكريته صراحة ، ودعوته الوطنية فكرية تذاوبت فيها العاطفة ، فهى إقناع بجر الإرادة لا وخز يهيج الشعور . وليست قانونيته جدلا ولكنها حكم

(آن لهذا الشعب أن يفهم) والذى آن له أن يفهمه هو ما احتواه الكتاب من صورة للثورة يحدد أهدافها ، لا مشيرا إليها عن بعد ولكن متجها نحوها

فلمن شاء أن ينتقل إلى أهداف الثورة أن يقرأ هذا الكتاب ليخلص من أثر الماضى عليه من جدل لا يراد به الإقناع ، واهتياج لا يراد به الاستقرار ، واضطراب لا يقصد به إلى الهدوء . هو ثورة ولكنها منطقية ، وهو منطق ولكنه ثائر

أحمد عوضه

مستقبل الإسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد القادر العماوى

للأستاذ عبد السميع المصرى

هذا هو الكتاب الثانى الذى يتحدث فيه الأستاذ محمد عبد القادر العماوى عن إمكانيات الدين الحنيف. أما كتابه الأول الذى أصدره فى العام الماضى فكان عنوانه (هذا هو الإسلام) ولقد تحدث الأستاذ العماوى فى (مستقبل الإسلام) طويلا عن أسباب الجمود الذى أصاب الدين خلال عصور التاريخ، والعوامل التى أدت إلى ذلك؛ كما تحدث عن تطور الأديان وقارن بين العقيدة فى مختلف الأديان مقارنة مبنية على أسس من العلم والتاريخ، وبين كيف أن الإسلام نظام عالمى مرن متطور وفق حاجات الزمان والمكان، وما كان له أن يصل إلى هذه النتيجة قبل أن يعرج على نشأة الفرق الإسلامية والعوامل التى أثرت فى تاريخها وأسباب ما رميت به من تعصب أعمى أودى بالكثير من جمال تعاليم بعضها والأسباب الخفية لنشوء معظم الفرق الإسلامية

ثم يخلص من كل هذا البحث التاريخى العلمى إلى النتائج الطبيعية له وأثره فى الإسلام ووجوده كقوة عالية ثالثة وإمكانيات هذه القوة ومستقبلها بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين تتنازعان اليوم ، لكنه فى هذا المكان من الكتاب وقد جعله خاتمته يختصر القول اختصارا ويجمله إجمالا ويكتفى بالتلميح دون التصريح وهو لب الكتاب وأس موضوعه.. وكأنى به يخشى الإفصاح عما فى نفسه أو يتهيب الرقيب والحسيب ويخشى مغبة آرائه الحرة ، ويقينى لو أن الأستاذ العماوى تأخر فى إصدار كتابه أياماً لكان له شأن غير الشأن ولأجرى القلم بما يشاء وأفاض فيما يريد ، ولعله فاعل ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى

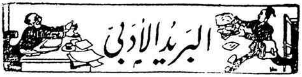
ومن أمثلة هذا الاختصار المخل ما جاء فى الصفحة ٢٠٩ من قوله (لكن الإسلام لم يكتف بذلك وإنما يريد أن يقضى فى صراحة وقوة على ميكروب النظام الطبقى الذى ينشأ عادة من سوء التوزيع الاقتصادى للدولة فيوجب ضرورة التوازن فى دخل الأفراد وبذلك يقضى على كل العوامل التى ينشأ فى ظلها الربا والاحتكار)

هذا كلام جميل يحتاج إلى كثير من التفصيل ويحتاج إلى أن يبين لنا الأستاذ العماوى الوسائل العملية التى لا تتعارض مع روح التشريع الإسلامى وتحقق هذه الأهداف الجليلة ؛ ويكون بذلك قد أدى خدمة لله وللوطن . وفى مكان آخر (ص ٢١٣) يعرض الأستاذ المؤلف لنظام الإسلام فى صورة أشد غموضا وإبهاما فيقول ... (إننا لا نحب أن نخدع أنفسنا فنتمسك بالقشور عن اللباب فإذا كنا حقيقة نحرص على بلوغ ما رسمه الإسلام للعالم من غايات فالسبيل إلى ذلك الانتقاض عن هذه النظم التى تسيطر على حياة العالم وما يتحمله من أساس العدالة ومن نظام فى الحكم والسياسة والاجتماع لا يبتعد كثيرا عما شرعه الإسلام للعالم)

وكان بودى لو أن المؤلف أوضح لنا النظام الذى يراه موفقا بين ما شرعه الإسلام والنظم الغربية القائمة ؛ أو ما يحقق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولا يتعارض مع روح الإسلام ولا روح العصر ! أما ترك الأمر للحدس والتخمين فلا يتفق والطريق العلمى الذى أخذ المؤلف به نفسه

والكتاب بعد ذلك مجهود قيم وخطوة جريئة موفقة من الأستاذ العماوى نرجو أن تتبعها خطوات إن شاء الله

عبد السميع المصرى



الدراسات العليا لكلية اللغة العربية

ليس هناك شك فى أن الدراسات العليا لا غنى عنها للحياة الدراسية فى مختلف الكليات ، ذلك أنها تخلق طبقة من المفكرين والباحثين والعلماء نحن فى حاجة ملحة إليهم ، وبخاصة فى هذا العهد الجديد الذى يعتبر التجديد من أهم خصائصه ومقوماته

وموضوع الدراسات العليا شائك أو هكذا أخذ ودرس على أنه من الصعوبة بحيث لا ينبغى له أن يمر بسهولة ولا يرى النور إلا بعد تمحيص وبحث من نوع جديد

لقد مرت هذه الدراسات بأدوار مختلفة ، واصطدمت بآراء متضاربة ، وأخيراً قدر لها أن تخرج إلى عالم الحياة ، كان ذلك فى العام الماضى ، وأسرع « الخريجون » فقدموا أوراقهم إلى قسم الدراسات العليا بالكلية ، واطمأنوا إلى أنه ستتاح لهم دراسات عليا تقوم على أسس جديدة صالحة تتمشى مع روح العصر ، وتحذو حذو مثيلاتها فى الجامعات

ولكن لأمر ما ، أو لأمور كثيرة ، لا أدرى ! أجل افتتاح هذه الدراسات ، ووضع مشروعها على الرف كما يقولون إلى أجل غير مسمى ؛ وهكذا يصل التهاون بصوالح الطلاب ومقتضيات التعليم الجامعى إلى هذا الحد المقيت

ونحن هنا لا نريد أن نتناول موضوع الدراسات العليا الذى قدر له أن يقبر فى مهده — لا نريد أن نتناوله بالنقد والتشريح ، فالكلام فيه لا داعى إليه ، وربما نضطر إليه فى وقت قريب

والذى نريده من أولى الأمر أن يكون هدفهم صالح الأزهر دون أن يسمحوا للرغبات الشخصية بأن تثبت وجودها فى هذا الميدان الذى يتطلب صفاء القلوب وإخلاص النيات ، نريد دراسات عليا تكون صورة مماثلة لما يتبع فى الجامعات المصرية ، ويلتحق بها كل طالب تتوفر لديه الشروط المرسومة من حيث التقدير العام فى السنة الرابعة

ولا يفوتنى هنا أن أقرر حقيقة واضحة، فالدراسات العليا تعتبر حقا لطلبة الكليات ، ومن الواجب على كل إنسان ألا يتغاضى عن حقه ، لذا كتبت كلمتى هذه أطالب بتحقيق رغبة هى الحق الصراح ، فلن يحمد لإنسان أن يعقد لسانه فلا ينطق بما يراه حقا ؛ ومما يبشر بالخير أن العهد الجديد يحتم علينا أن نعرف حقوقنا وواجباتنا ، وبذلك نكون جنودا مخلصين للحركة المباركة

ويضطرنى الاستطراد إلى أن أذهب بعيدا فأدعو أولى الأمر إلى أن يعملوا على إلحاق أبناء كلية اللغة العربية بالدراسات العليا فى كليات الآداب المصرية ، ولنعتبر هذه الخطوة بعثات داخلية يستعاض بها مؤقتا عن البعثات الخارجية

وحرصا على مستقبل أبناء كلية اللغة أرى لزاما على أن أشير إلى وجوب تذليل الصعوبات التى تحول دون انتساب طلبة الكلية إلى معهد اللغات الشرقية ، ماداموا يدرسون هذه اللغات فى كليتهم وإلا فلا فائدة ترجى منها

وبعد فهذا إيجاز وتركيز لبعض الرغبات التى نأمل أن تتحقق فى أسرع وقت فى ظل العهد الجديد إن شاء الله ، ولنا عودة .

أزهرى عجوز

بدعة اليوم الكامل

لا زال وزير المعارف مصرا على اليوم الدراسى الكامل، برغم ثورة الرأى العام على هذا الاتجاه المعتل ، وفى مقدمته المسؤولون عن سير الدراسة من المعلمين والمعلمات

ولو كان لهذا الاتجاه حسنة واحدة لاحترمنا إصرار الوزير الذى أصبح غير قابل للتغيير ، ومستحيلا عليه التخاذل والتقهقر، وقد يرى الوزير نفسه لهذا النظام حسنات كثيرة ، ولكنه لا يجد من يقره عليها ، اللهم إلا شرذمة من بطانته وحاشيته ، لأنه لا رأى لها مع أى وزير ، فمهمتها قاصرة على التصديق والتأمين ليس إلا

يقول وزير المعارف : إنه يهدف من وراء هذا النظام إلى إلصاق التلميذ بالمدرسة حتى ينجذب إليها ، ويصقل بين جدرانها وينشأ التنشئة الصالحة فوق تربتها ، ويهدف أيضا من وراء هذا النظام إلى إيجاد فسحة كبيرة ليستجم خلالها الطالب ، ويتخلص من الإرهاق الذى كان يعانيه من جراء تكديس الدروس دفعة واحدة دون راحة أو استجمام

أما إلصاق التلميذ بالمدرسة ، ودفعه إلى الاجتذاب إليها وصقله بين جدرانها ، وتنشئته التنشئة الصالحة فوق تربتها ، فهو من الخيال الرائع المحكم ، إذ ليست المدارس فى مصر مهيئة ولا مستعدة لتحقيق هذا الخيال الرائع المحكم ، فهل فى مدارس مصر حدائق غناء يستجم الطلاب بين أشجارها ؟ وهل فى مدارس مصر من المسليات الكافية لجذب التلاميذ إليها ؟ يستطيع الوزير الهمام أن يجيب عن هذين السؤالين بسهولة ، ولاسيا وأنه قد زار مدارس الأقاليم التى هى أقرب إلى الأكواخ والقبور

أما الفسحة الكبيرة التى أطالت حياة اليوم الدراسى ، فإن الطلبة يقتطعون منها خمس دقائق فحسب ، يتناولون خلالها « السندوتش » من الباعة المتجولين ، أما الباقى منها ، فإن البعض منهم يجرى خلالها فى الفناء ، والبعض الآخر يفترش الأرض ليرمق بعينيه الجدران والأبواب !

لنعمد إلى خلق المدرسة المصرية خلقا آخر ، ولنقلب أوضاعها من جديد ، ولنهيئها حتى تصبح مستعدة لاستقبال الطالب يوما كاملا ، ولكن بعد ذلك الإكرام والتقدير لهذا الاتجاه — أما أن نحتم على الطالب أن يظل من مطلع الشمس إلى مغربها بين جدران أربعة ، فلن يكون إلا من قبيل العناد ، والعناد — كما يقول الرسول عليه السلام — كاد أن يكون كفرا

نفيسة الشيخ

إلى الأستاذ على الطنطاوى

ياسيدى لى بنات طالبات أجهدت نفسى فى سد ما بينهن وبين الفساد فلم أتركهن للمجتمع المنحل ، واللهى الرخيص ، والكتاب الداعر

ولكن فساد المجتمع مالبث أن نفذ إلى « برضا » من جهاز الراد ومن رفيقة المدرسة ، ومن مثيرات الطريق

.. وبدأت أنكر من بناتى ومن أوضاعهن ماينكر الرجل الغيور من بنات العصر وأوضاعهن وإن لم يصل الأمر إلى هذا الحد الكريه

وحاولت أن أقوم ما اعوج وأصلح مافسد بالمنطق الواضح والحجة البينة فكان رأيهن مع رأيى ولكن بقيت عواطفهن منفصلة عن هذا الرأى متصلة بالفساد المستشرى إلى أن شاء الله لى الرحمة ولهن الستر فاتصل ما بينهن وبين رسالة « الزيات » جزاه الله عنا كل خير . وفى الرسالة لقينك يا أستاذ فقرأن لك معجبات أول الأمر ثم متأثرات

لقد استطعت يا أستاذ بأدبك البارع ، وروحك القوى ماعجزت عنه أنا ، استطعت أن تنفذ إلى ماوراء الفكر ، إلى أعماق الشعور فتكونهن تكوينا وجدانيا جديدا وإذا هن فى طريق جديد نهايته — إن شاء الله — التقاء الفكر والشعور على الفضيلة والخير

وقد قلت كتاباتك فى الرسالة أخيرا وتركت ذلك النوع من القصص الذى كان يقطع مابيننا وبين هذه الدنيا ليضمنا فى دنيا ثانية لا سبيل إلى وصفها

فهل لك يا أستاذ أن تتابع الكتابة وفى هذا الصنف من القصص خاصة.. إنك لودريت كم تبنى به من نفوس وكم تجنح به من همم وكم تنقذ به أرواحا من الإسفاف لقبلت أن تحمل فى سبيله أقسى المشقات

القاهرة أب غيور

هى مسألة خلافية

قال الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (فى الأهرام ٢٧ — ٠١ — ١٩٥٢) بعد أن أورد حديثين ضعيفين فى إباحة الوجه واليدين : ومعنى هذا أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تظهر لغير محارمها إلا بمثل ما تكون عليه فى صلاتها ، هذا هو الدين

وقال الإمام القرطبى فى تفسيره (ج ١٢ ص ٢٣٧) : أجمع



السفينة السوداء

عن الإنجليزية

كانت تحب الأطفال حبا ملك عليها قلبها فلم تر صغيراً إلا وجدت من نفسها دافعا قويا إلى حمله بين يديها ومداعبته، وكانت تعلو ثغرها عند ذلك ابتسامة مؤلمة

وكانت « لينا » على الرغم من سعادتها الزوجية لما بينها وبين قرينها من الحب المتبادل تشعر بأنها تعسة لأنها لم ترزق قط مولوداً يملأ منزلها مرحاً وسروراً . وكانت تتمنى لو أنها فقيرة معدمة تتوسد التراب وتأكل خبز الصدقات على أن يكون بجانبها طفل ينظر إليها نظرة أحن من نظرات الملائكة

وكانت تفكر فى ذلك تفكيرا يستغرق الساعات الطوال ولحظها فى هذه الأثناء معقود بنقطة لا تتغير من أرجاء الغرفة .

ولقد يحسبها من رآها على هذه الحال تمثالا لولا أن لونها الدائم التبدل يدل على أنها مستغرقة فى التفكير . لكنها كانت حريصة على ألا يطلع زوجها على اشتغال بالها وعلى وجهة تفكيرها ، فهى أمامه تضحك وتلعب وتقترح النزه والتلهى وتزعم أنها سعيدة .

وكانت تدعى أنها لا تميل إلى النسل ولا تبالى أن تقضى بقية العمر كما هى الآن

ولقد كان صواحبها يقلن لها فى السنوات الأولى من الزواج إنها سترزق الأبناء فى الوقت المناسب . وكانت تعلل نفسها بذلك . ولكن لما انقضى العام بعد العام وكاد يجف عودها ولم يثمر دب فى نفسها دبيب اليأس وظلت فى وحدتها تعانى ألمها الخفى . وكانت فى بعض الأحيان تأنس بالوحدة لتستمتع بلذة هذا الألم . ولكنها فى أحيان أخرى تهرب إلى الضجيج والزحام من آلام الوحدة وكان ملجؤها الأول فى الحالات الأخيرة فى الحفلات الراقصة ففيها لا يسمع القلب مناجاة نفسه

وكان زوجها يسر من مرافقتها إلى تلك الحفلات لأنه يحب أن يراها سعيدة . وكانت تقدر له هذا الشعور نحوها وتتمنى لو تستطيع أن تخلى له قلبها من كل حب لولا أن حب النسل كان مالئا فراغ هذا القلب

والأطفال إنما يوجدوا فهم معان. ولابد لتعلق القلب أن يكون بشىء ملموس . ولا بد لكل إنسان من تعليق قلبه بإنسان أو بشىء آخر . ولكن « لينا » كانت ترى حولها من أزجال بلداء وما يحيط بها من الأشياء لا يطاق . فبعد أن جالت جولة فى ميدان الطراد انتهى بها المطاف إلى حب نفسها ، وأخذت تعامل نفسها كأنها تعامل طفلا مدللا فهى تهدى إلى نفسها الهدايا من الجواهر إلى الأزاهير

وكانت تجلس الساعات الطوال أمام المرآة تبادل وجهها النظرات ، وتقبل صفحة المرآة حيث يرتسم ثغرها . وبودها لو تستطيع تقبيل خدها فى المرآة . وكانت تناجى نفسها بأعذب الكلمات وتفزع عندما تسمع بعض الأصوات ، ثم تفكر فى أيام الدراسة وفى الأشهر الأولى من عهد الزواج فتحس بحاجة قوية للبكاء

وكانت نتيجة هذا التطور فى عهود جها أنها رأت جسامة

المسلمون على أن المرأة كلها عورة إلا وجهها ويديها فإنهم اختلفوا فيها وقال فى تفسيره سورة النور : ثم استثنى مايظهر من الزينة ، واختلف الناس فى قدر ذلك ، قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدى وأن تجتهد فى الإخفاء لكل ماهو زينة ، ووقع الاستثناء ، فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك

محمود مصطفى علية

عطارد

يصدر أول ديسمبر العدد الأول من مجلة « عطارد » التى يصدرها لفيف من الشباب المثقف ويشترك فيها الأستاذ أنور الجندى . وستكون شاملة لفصول حارة جريئة من السياسة والأدب والاجتماع

لفروق بين طفولتها اللاهية وبين شبابها الحزين ، فبدأت نفسها المشوقة تخاف من نفسها العاشقة

وبدأت كذلك تشعر أنها بعد ازدواج نفسها صارت أكثر وحدة وأشد وحشة ، ولجأت من حب نفسها إلى حب زوجها فوجدت فيه ذلك المهذب الذي لا ينسى واجبه والذي يفهمها حق الفهم ويعطف عليها أبلغ العطف

ولكنه بعد مدة لم يعد يستطيع التفرغ لها فقد كان محامياً واشتغل أخيراً بالسياسة وسعى لترشيح نفسه للعضوية في مجلس النواب . وكان لذلك كثيراً ما يتخلف عن منزله أسبوعاً أو أسبوعين . وكان الزوجان في ذلك الوقت يقيمان في مغنى صيفي مجاور للبحر ؛ وقد أنست الزوجة بالسكنى في هذا المكان طلباً للوحدة فيه وفراراً مما تشعر به في المدينة من الإعياء ، وكان الهواء الخالص في ذلك المصيف يهدئ من أعصابها ، ولكن مشغول البال بخاطر واحد لا يمكن أن يستريح سواء أقام في جوار البحر أو في ذروة الجبل

وكان لا يزورها في هذا المغنى إنسان ولا تزور إنساناً ، ولولا زوجها الذي يأتي بين فترات انقطاعه لكانت من هذا المسكن في وحدة كاملة

واعتادت أن تقضي أوقاتها في هذه الوحدة جالسة في حديقة المنزل وفي يدها كتاب تمر بنظرها فوق سطوره ولا تقرأ شيئاً منه أو ماشية في الأدغال المجاورة تقطع الوقت الذي لا تشعر بمروره أو جالسة شاردة الذهن في خواطرها وأمانيها . وكانت ترى بين حين وحين سفينة سوداء فيها صياد شاب تتمنى أن يكون الابن الذي ترزقه مخلوقاً على مثاله . وكانت تطرب إلى الصوت الذي يحدثه مجدافه في الماء ، لكنها إلى جانب هذا الطرب كانت تشعر بشيء من الخوف وتسرع بالعودة إلى منزلها كأنما رؤية هذا الصياد الفرد تضيع عليها سرور الوحدة

وكانت كثيرا ما تفكر في معيشته فتقول : إن صياداً وزوجته لا يكاد رزقهما المحدود يكفيهما ؛ ولكن إذا كان بينهما ابن صغير فقطعة من الخبز عندهما ألذ من مأدبة ، والكوخ الضيق أرحب بهما من ملكوت السماء ... ثم تذكر حظها وتتنهد . وكانت في كل ليل يتلو رؤية الصياد تصاب بالأرق وتشتد عليها وطأة الهم حتى نكاد تلقي بكل أثاث المنزل من النافذة في البحر لتكون حياتها بسيطة كحياة الصيادين . وكانت تشعر في هذا الحين كأن إنساناً ينتظرها أو أنها على موعد؛ فهي لذلك تترقب وهي لا تعرف مدى ترقبها ، ولا من هو الطيف الذي تنعكس أحلامها عليه

وكان شعورها جليا صريحا فهي تدرك كنهه وإن كانت تجهل سببه . وكانت تدرك أن ذلك الإنسان الذي يصوره لها الشعور مرتبط بها من عهد بعيد وأنها قضت كل هذا العمر في انتظاره

وكانت في ساعات وحدتها تخاطبه بأعذب الجمل وأرقها ، وتخال أنها تسمع من فمه السحر الحلال . وأي ضرر في التمادي في حبه ؟ أليس شخصا خفيا محبها سرا فما يشعر بحبه إنسان ؟

وسواء قضت ليلها ناعسة الطرف ، أو مؤرقة ، فقد كانت تقوم في الصباح مبكرة ، فتسقي أزاهير الحديقة ، وتتعهد أحاديث النبت منها كأنه مولود جديد . وتهش إلى الفراش الطائر . ثم تجلس في الظلال بين الألوان الزاهية ، والروائح العطرة ...

وفي يوم من هذه الأيام ، سمعت طلقة عيار ناري . ثم وقع تحت قدميها عصفور مصاب بهذه الطلقة . ففزعت ووقفت في مكانها ، وقد امتقع لونها ... وبعد لحظة جرى نحوها كلب من كلاب الصيد فاختطف العصفور وظهر على الأثر ذلك الصياد صاحب السفينة السوداء . فلما رآها رفع قبعته محيياً ، وهم بأن ينطق بكلمات الاعتذار ... ولكن ألفاظه اختنقت ! ... فنظرت إليه نظرة طويلة دون أن تتحرك . ومشى نحوها الشاب وقال :

« إنني آسف يا سيدتي ! لأني ما كنت أحسب هذا المغنى معموراً وقد كنت أصطاد في الأدغال المجاورة فأصابت طلقتي طائرا هنا ، ولولا اعتقادي أن المكان خال لما دخلته . ولو كنت أستطيع عتاب نفسي على إزعاجك لعاقبتها ... »

فلم تجبه « لينا » ! ولكنها أشارت إلى باب الحديقة ... فأحنى الرجل رأسه ومشى نحو الباب ! فلما وصل إليه التفت مرة وأحنى رأسه

وكانت في هذه الأثناء قد عادت إلى الجلوس ، وتظاهرت بأنها تقرأ ، ولكن نظرها لم يرتفع عن الصياد ، وقد أعجبها صوته الرخيم الذي لم تسمع مثله قبل الآن ، والذي دلت عذوبته

على انسجامه مع حسن منظره

وكانت توازن بين هذا المنظر وبين الرجل الذى تتوهمه وتشعر بأنها مرتبطة به من سالف السنين فلا تجد فى الموازنة إلا انطباقا ؛ فخرجت من الباب الذى خرج منه باحثة عنه وقضت فى البحث طول النهار فلم تجده وكانت تسائل نفسها : هل يعود ؟ وتجيب عن هذا السؤال بأنه لا يمكن أن يعود بعد طردها إياه عندما طلب إليها العفو . وكانت تخجل كلما فكرت فى لقائه مرة أخرى لشعورها بأنها ستلقاه ، وستعتذر إليه لأنه ليس غريبا عنها ولأن لقاءه كان هو الوعد المنتظر

وفيما هى تفكر على هذا النحو إذ سمعت صوت مجدافيه فى الماء وهو يمر بسفينته أمام المغنى فأطلت من النافذة ورأته يقف لحظة لينظر إلى الحديقة ، وأحست بأن ألسنة تصيح فى قلبها بصوت مفرح : « هذا هو ! هذا هو ! »

ووقع نظره عليها فحدق فيها ، وكأنه هو الآخر كان يحلم بها مثل حلمها به . وكان يشعر بضعة مكانته وسمو مكانها فلم يجرؤ على مطالبتها بأن تحبه ولكنه تشجع فطلب إليها أن تصفح عنه

وجرت بينهما جمل قصيرة يسمع الناس مثلها كل يوم ولكن «لينا» تبينت فى لهجة هذه الكلمات حبا خالصاً وهوى مشبوباً ، ونسيت فى هذه اللحظة كل الماضى بل نسيت الحاضر أيضاً

وسكت كلاهما ، ولكن نظراتهما كانت أبلغ فى الخطاب من كل بيان . وقرأت فى عينيه تضرعه فى الاعتذار فقالت : « لقد عفوت عنك »

ثم ذهبت بعد ذلك منهوكة القوى فألقت نفسها على السرير

وبعد تلك الليلة كانت السفينة السوداء تأتى كل يوم إلى المنزل فتنزل لينا لاستقبال الصياد فى الحديقة وتترك يدها البيضاء بين كفيه وثغره يقبلها كيف يشاء . ولم تعده بشىء آخر ولكنها سمحت له بأن يؤمل أنه قد يجوز فى المستقبل أن . . .

وفى أحد الأيام وصل الزوج بعد غيبة طويلة . وكان مهتاجاً مشغول القلب والذهن لأن الوزراء سيزورونه فى المساء فى مغناه وسيكون للوليمة التى سيقيمها لهم شأن عظيم يدنو به من مجلس النواب

وجرى الاستعداد للحفلة على ساق وقدم . وأضيئت المصابيح على شاطئ البحر وعلى جوانب الحديقة . وجاء الوزراء واشتركت لينا فى الجزء الأول من الحفلة . . . فلما دب دبيب الخمر فى بدنها وأبدان الزوار غادرت المغنى إلى الشاطئ وركبت فى السفينة السوداء مع الصياد للتنزه ساعة أو بعض ساعة تاركة زوجها والزوار . . .

ولما عادت إلى المنزل كانت أضواء الحفلة قد خمدت وأوشك الصباح أن يبزغ . وكان الزوج نائما يحلم بأنه صار عضوا فى البرلمان فنامت لينا وهى تحلم بالسفينة السوداء وبمولود جميل ستضعه بعد تسعة أشهر

ع ٠ د

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مطبعة الرسالة